محمود محمد طه

اربجي - مايو ١٩٧٢

ربيع الاخر ١٣٩٢

الاهـــداء :ـــ

الذين يتوقون الى تجديد شبابهم ،
من الافراد والامم !!
الثورة الفكرية هى « القابلة » ،
لميلادكم الثانى !!
والذين يولدون الميلاد الثانى ،
لا يولدون أطفالا !!
وانما يولدون فى سن أهل الجنة ،
فى الثالثة والثلاثين !!

بسم الله الرحمن الرحيم

« الله يعلم ما تحمل كل أنثى ، وما تغيض الأرحـــام ، وما تزداد ٠٠ وكل شيء عنده بمقدار ❋ عالم الغيب ، والشهادة ، الكبير ، المتعال ❋ سواء منكم : من أسر القول ، ومن جهر به ٠٠ ومن هو مستخف بالليل ، وسارب بالنهار ❋ له معقبات ، من بين يديه ، ومن خلفه ، يحفظونه من أمر الله ٠٠ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم ٠٠ واذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ٠٠ ومالهم من دونه من وال »

المقدمـــة

هذا كتاب عن الثورة الثقافية ، نخرجه للناس ، ونستهدف به احداث التغيير الجذرى ، فى حياة الأفراد والجمـــاعات ، وذلك عــن طريق اعادة التعليم ـ اعادة تعليم المتعلمين ، وغير المتعلمين ٠٠ والتغيير الجذرى الذى نعنيه هو تغيير لم يسبق له مثيل ، منذ بدء النشـأة البشـرية ٠٠ هو تغيير تدخل به البشرية المعاصرة مرتبة الانسانية ٠٠ وتلك مرتبة يتطلب دخولهـا قفزة أكبر من تلك التى حدثت لدى دخول الحيـــوان مرتبة البشـرية ٠٠ وسيحدث ذلك ، بفضل الله ، ثم بفضل الفكر الصافى ٠

ولقد ظللنا نتحدث عن الثورة الفكرية منذ زمن بعيد ، ففى كتاب صدر لنا فى الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٩ ، بعنـــوان : « لا اله الا الله » جاء فى مقدمته ، عند الكلام عن ثورة أكتوبر : « والمرحلة الثانيـــة من ثورة أكتوبر هى مرحلة الفكر المستحصد ، العاصف ، الذى يتسامى بارادة التغيير الى المستوى الذى يملك معه المعرفة بطريقـــة التغيير ٠٠ وهذه تعنى هـدم الفساد القائم ، ثم بناء الصلاح مكان الفساد ٠٠ وهى ما نسـميه بالثورة الفكرية ٠٠ فان ثورة أكتـــوبر لم تمت ، ولاتزال نارها تتضرم ، ولكن غطى عليها ركام من الرماد ، فنحن نريد أن تتولى رياح الفكر العاصف بعثرة هذا الرماد حتى يتسعر ضرام أكتوبر من جديد ، فتحرق نارها الفساد ، ويهدى

نورها خطوات الصلاح ٠٠ وليس عندنا من سبيل الى هــذه الثورة الفكرية العاصفة غير بعث الكلمة : « لا اله الا الله » جديدة ، دافئة ، خـــلاقة فى صدور النساء والرجـــال ، كما كانت أول العهد بها فى القـــرن السـابع الميلادى ٠٠ » الصفحة ثمانية الطبعة الأولى ٠٠

ومن قبل هذا جاء فى كتابنا : « أسس دستور السودان » الصادرة عام ١٩٥٥ الطبعةالأولى منه ، حديث عن الثورة الفكرية :« بعث « لااله الا الله» من جديد لتكون خلاقة فى صدور الرجال والنساء ، اليوم كما كانت بالأمس ، وذلك بدعوة الناس الى تقليد محمد ، اذ بتقليده يتحقق لنا أمران : أولهمـــا توحيد الأمة ، بعد أن فرقتها الطائفية أيدى سبأ ، وثانيهما تجديد الدين ٠٠ وبتجديد الدين يسمو الخلق ، ويصفو الفكر ٠٠ فالثورة الفكرية هى طريقنا الوحيد الى خلق ارادة التغيير ، والى حسن توجيــه ارادة التغيير ــ التغيير الى الحكم الصالح ، وهو الحكم الذى يقـــوم ، فى آن واحـــد ، على ثلاث دعامات : من مساواة اقتصادية ، ومساواة سياسية ، ومساواة اجتماعية. وذلك هو الحكم الذى يجعل انجاب الفرد الحر ممكنا ٠٠ الفـــرد الذى يفكر كما يريد ، ويقول كما يفكر ، ويعمل كما يقول ٠٠ ثم لا تكون عاقبة قوله ، ولا عمله ، الا الخير ، والبر ، بالناس وبالأشياء ٠٠ » صفحة ٨٠ من الطبعة الثانية الصادرة فى نوفمبر ١٩٦٨ ٠٠

الثورة

الثورة ، فى معناها العام ، هى الحركة ، الحسية والمعنوية ، من أجل التغيير ٠٠ وقد لازم العنف هذه الحركة فى جميع أطوار نشـوء المجتمـــع البشرى ٠٠ وذلك لأن المجتمع البشـــرى قد نشأ فى الغـــابة ٠٠ وكان قانونه قانون الغابة ، الذى لانزال نعيش فى أخريات أيامه ٠٠ وقانون الغابة انمـــا يعطى الحق للقوة ٠٠ وفيه القوة تصنع الحق ، وتتقاضاه ٠٠ فهى لا تحتـــاج الى قانون ينص على حقها ٠٠ ولا تحتاج الى قضاة يقضـــون لها بذلك الحق ٠٠ وانما هى ، فى حد ذاتها ، القانون والقضاء ٠٠ ومنذ ان بدأت حـــركة

المجتمع فى هذا الوضع المهين بدأت الرغبة فى التغيير تدب فى صدور الضعاف •• ولكن هذه الرغبة لم يكن هناك سبيل الى ابدائهـا •• وكانت كلما بدت تجد من العنف ما يضطرها الى الاختفاء ، وما يكبتها كبتـا •• وقد أصبح الضعاف ، وهم فريســة القوى ، يحتالون للتغيير احتيالا ، بالمراوغـة وبالمداهنة ، وبالتملق ، فى أغلب الأحيان ، اذ تعييهم القدرة على المناجزة •• ثم هم ، حيث وجدوا للمناجزة سبيلا ، ناجزوا ••

وبين الأقوياء ، فيما بينهم ، ثورات عنف ، تتخذ صور الحـروب ، لأنها نزاع على السلطة ، أيهم يملك ، وأيهم يسود •• وقد ربى هـذا العنف العنيف أفراد المجتمع البشرى ، عبر التاريخ ، تربية لم يكن منهـا بد •• بل انه ، على التحقيق ، ما كان للقيم البشرية أن تمخض من المستوى الحيوانى الا بفضل الله ، ثم بفضل هــذا العنف •• ولقــد تصـور بعض المفكرين الاجتماعيين ان المجتمع انما نشأ فى صورة شركة تعاقد الناس على اقامتها ، وأسهم كل فرد من أفراد المجتمع بسهم من حريته ليكون رأسمال الشركة • هذه الصورة ، فى جملتها ، مقبولة •• وفى تفصيلها نظر •• وهذا النظـر لم يكن غائبا على المفكرين الاجتماعيين هؤلاء ، ولكنهم أرادوا أن يبســطوا المسألة لتجد طريقها الى الأذهان •• النظر فى التفصيل يظهر ان الضعاف لم ينزلوا عن حريتهم باختيارهم ، وانما صودرت حرياتهم بتسـلط الأقوياء عليهم ومن هذه البداية ، الموغلة فى البدائية ، بدأت سلسـلات الحـروب ، وسلسلات الثورات •• وكانت الحروب سابقـة للثورات •• والفـرق بين الثورة والحرب : ان الحرب صراع بين الأقوياء على امتلاك الضعاف ، هذا فى أغلب صورها ، والثورة انتقاض من الضعاف على الأقوياء لاســترداد الحقوق والامتيازات التى استولى عليها الأقوياء ، ورفضوا أن يتنازلوا عنها •• ومعلوم أن الطبيعة البشرية فيها الشح ، والحرص ، ومنــع ما تملك ، ولذلك فقد كان الأقوياء يواجهــون حـركات الضـعاف بالكبت العنيف ، مما انتهى بأغلب الثورات الى الهزيمة ، والتصفية ، والوقيعة بزعمائها •• وهذا ، فى حد ذاته ، أكسب الضعاف خبرة ، ومرانة على التنظيم ، وحذرا فى

التنفيذ ، وعنفا عنيفا صحب الفشل ، وصحب النجاح •• حتى لقد تعدى هذا العنف العنيف أعداء الثورات الى أبنائها •• ولقد أصبح معروفا عن الثورات انها ، حين تنتصر على خصومها تأكل أبناءها •

وفى أيامنا الأخيرة هذه أكبر المفلسفين لثورات العنف كارل ماركس •• فكارل ماركس أبو الاشتراكية المطبقة فى العالم اليوم ، سواء أكانت سوفيتية ، أم صينية ، أم فى أى من الدول التى تسير فى فلك أى من هاتين الدولتين •• وهو قد فلسف العنف ، ورفض التطور الوئيد ، الذى يدعو الى التغيير عن طريق القوانين •• فلم يكن كارل ماركس أول داعية اشتراكى ، وانما وجد معاصر له وسابق عليه بقليل ، هو روبرت أوين ، الصانع الانجليزى ، الثرى ، المحسن •• فقد كان روبرت أوين هذا أول داعية للاشتراكية الحديثة •• وكان ذلك عام ١٨٢٠ •• وكان روبرت أوين يؤمن بامكان تحقيق التحسين الاجتماعى ، والاقتصادى ، عن طريق الوسائل الاختيارية والدستورية الوئيدة ، والمستمرة ، التى تجنب الشعوب الشرور التى تسير فى ركاب التغييرات الثورية العنيفة ، وبخاصة السيئة الأعداد منها •• وحين كان اصطلاح « الاشتراكية » متداولا فى بريطانيا ، بفضل روبرت أوين هذا ، كانت كلمة «الشيوعية» متداولة فى فرنسا •• وكلمة « الشيوعية » هذه مشتقة من كلمة لاتينية معناها « عام » أو « مملوك للجميع » •• ولقد استخدمت فى أول الأمر حوالى عام ١٨٣٥ •• بواسطة الجمعيات الثورية السرية الفرنسية ، التى كانت ترمى الى قلب الطبقة الوسطى بالعنف ، ثم السيطرة على فرنسا بهدف انشاء اقتصاد يكون فيه جميع المتاع المنتج مملوكا للشعب وتكون فيه طبقة العمال هى العنصر الحاكم ••

ودخل كارل ماركس فى الصورة ، وأخذ يدرس ، ويرصد ، ويطور أفكاره على أساس النظريات ، والتطبيقات الاشتراكية ، والشيوعية المختلفة •• وكانت دراسته هذه فى بريطانيا •• وكان يرفض أفكار روبرت أوين ،

ويزرى بها ، ويصفها بالمثالية •• ويقرر ، فى وضوح ، أنك لاتستطيع أن تقنع من أغتصب حقك بالتخلى لك عنه بالوسائل السلمية •• ولذلك فقد فضل أصطلاح الشيوعية ، واختاره ليصف به أفكاره ، لأن هذا الاصطلاح قد كان مرتبطا بفكرة تغيير المجتمع بالعنف •• وكان هذا هو رأى كارل ماركس أيضا •• وكان ماركس يقيم مذهبه على أربعة مبادىء : ـ

١ ـ مجرى التاريخ تتحكم فيه القوى الاقتصادية •
٢ ـ التاريخ ماهو الا سجل لحرب الطبقات •
٣ ـ الحكومة ماهى الا أداة تستخدمها طبقة فى اضطهاد طبقة أخرى
٤ ـ العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أى تغيير أساسى فى المجتمع •

وعلى هذه المبادىء ، ووفاء بها ، ظل ماركس ، منذ كتاباته الأولى ، يهاجم بالحاح التجارب الاشتراكية ، كالتى كان يرعاها روبرت أوين ، ويصفها بأنها غير علمية ، وغير واقعية ، لأن التاريخ كما هو واضح فى رأيه ، قد سار على قوانين علمية قاسية ، وان تغييرا اجتماعيا جوهريا بغير طريق القوة والعنف لايمكن أن يتم •• ولهذا فقد سخر باعتقاد أوين وغيره من الاشتراكيين بامكان اصلاح اجتماعى عن طريق الزمالة ، والتعاون ، والتطور الوئيد •• وكان يسمى عملهم هذا بالاشتراكية : « المثلى » ويهتم كثيرا بالتفريق بينها وبين مذهبه هو ، ويسمى مذهبه الاشتراكية « العلمية » أو « الشيوعية » ••

وقد توصل كارل ماركس الى رأيه هذا عن طريق ملاحظة تطور المجتمع البشرى ، وهو يخرج من الغابة الى المدينة •• وملاحظته ذكية ، مافى ذلك ريب ، ولكنها خاطئة أيضا ، حين ظنت أن مستقبل البشرية يمكن التنبؤ به من رصد ماضيها ، واستقراء تطور هذا الماضى •• وذهل ماركس عن حقيقة كبرى ، تلك الحقيقة هى ان حاضر المجتمع البشرى ، فى أى لحظة

من لحظات تطوره ، انما يصنعه تفاعل وتلاقح بين قوى المستقبل ، وقوى الماضى •• هذه القوى التى تجىء من المستقبل ، هى التى تعين على تطوير الماضى ، وتحفز وتوجه ، خطوات التغيير فيه •• هذه القوى توفر على تقريرها الدين ، ذلك الدين الذى رفضه كارل ماركس ، رفضا تاما ، ومن ههنا تورطت أفكاره فى الخطأ • لقد كان روبرت أوين يحلم بعهد لم يكن وقته قد حان ، يومئذ ، ومن ههنا فقد كان « مثاليا » كما وصفه ماركس •• •• وكان ماركس يترجم عن وقته أكثر مما يفعل روبرت أوين •• فقد كان حكم الوقت يومئذ يتطلب القوة والعنف معا •• ولولا ان العنف ليس أصلا فى العلاقات الانسانية ، وانما هو مرحلة يتخلص منها الانسان كلما بعد عهده بعهد الغابة ، وكلما نزل منازل القرب من عهد المدينة ، لولا هذا لكان كارل ماركس محقا كل الاحقاق •• ولقد أصبح تفكير كارل ماركس بسبب هذا الخطأ الكبير ، تفكيرا مرحليا •• وهو اليوم على عهدنا يمثل حقبة ضرورية فى مراحل تطور المجتمع البشرى ولكنه قد أصبح ، منذ اليوم عقبة تتطلب ان تزاح عن طريق البشرية لكى تدخل عهدها الجديد •• ان القوة أصل ، ولكن العنف ليس بأصل •• ولابد من اخراجه من معادلة التغيير التى صاغها كارل ماركس فى النقطة الرابعة من نقط مبادئه التى ذكرناها ، تلك النقطة التىتقول : « العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أى تغيير أساسى فى المجتمع » ولقد ذكرنا فى كتابنا باسم : « لا اله الاالله » الذى صدرت الطبعة الاولى منه يوم ٢٥ مايو عام ١٩٦٩ ، فى مقدمته ، تحت الكلام عن « ثورة اكتوبر » ما يأتى : ــ (انثورة اكتوبر ثورة فريدة فى التاريخ ، وهى لم تجد تقويمها الصحيح الى الآن ، لأنها لاتزال قريبة عهد ، فلم تدخل التاريخ بالقدر الكافى الذى يجعل تقويمها تقويما علميا ممكنا •• ولقد يكفى ان يقال الآن انها ثورة فريدة فى التاريخ المعاصر تمكن بها شعب أعزل من اسقاط نظامعسكرى استأثر بالسلطة مدى ست سنوات •• ثم كانت ثورة بيضاء ، لم ترق فيها الدماء •• وكانت ، الى ذلك ، ثورة بغير قائد ، ولا مخطط ، وبغير خطباء ، ولا محمسين للجماهير ••

وتم فيها اجماع الشعب السودانى ، رجالا ، ونساء ، واطفالا ، بشكل منقطع النظير ، فلكأنها ثورة كل فرد من افراد الشعب تهمه بصورة مباشرة، وشخصية .. ولقد كانت قوة هذه الثورة فى قوة الاجماع الذى قيضه الله لها .

ولقد كان من جراء قوة هذا الاجماع ، ومن فجاءة ظهوره ، ان انشل تفكير العساكر فلم يلجأوا الى استعمال السلاح ، مما قد يفشل الثورة ، أو يجعلها ، ان نجحت ، تنجح على اشلاء ضحايا كثيرين .

وعندنا ان اكبر قيمة لثورة اكتوبر .. ان الشعب السودانى استطاع بها أن يدلل على خطأ أساسى فى التفكير الماركسى ، مما ورد فى عبارة من أهم عبارات كارل ماركس ، فى فلسفته ، فيما عرف « بالمادية التاريخية » وتلك العبارة هى قوله : « العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أى تغيير أساسى فى المجتمع » فما برهنت عليه ثورة اكتوبر هو ان القوة ضرورية للتغيير ، ولكن العنف ليس ضروريا .. بل ان القوة المستحصدة ، التامة تلغى العنف تماما .. فصاحبها فى غنى عن استخدام العنف وخصمها مصروف عن استخدام العنف بما يظهر له من عدم جدواه .. وحين تنفصل القوة عن العنف يفتح الباب للبشرية لتفهم معنى جديدا من معانى القوة ، وتلك هى القوة التى تقوم على وحدة الفكر ، ووحدة الشعور ، بين الناس ، بعد ان لبثت البشرية فى طوال الحقب لا تعرف من القوة الا مايقوم على قوة الساعد وقوة البأس .. ومفهوم القوة بهذا المعنى الاخير ، هو تراث البشرية من عهد الغابة .. عهد الانياب الزرق ، والمخالب الحمر .. وهذا المفهوم هو الذى ضلل كارل ماركس ، فأعتقد ان مستقبل البشرية سيكون صورة لأمتداد ماضيها ، وغاب عنه ان العنف سيفارق القوة ، بالضرورة ، فى مستقبل تطور الانسان ، حين يصبح الحق هو القوة .

ومهما يكن من الأمر ، فأن شعب السودان ، فى ثورة اكتوبر ، قد كان قويا بوحدته العاطفية الرائعة ، قوة اغنته هو عن استخدام العنف ، وشلت

يد خصومه عن استخدام العنف •• وتم بذلك الغاء العنف من معادلة التغيير الماركسى •• اذ قد تم التغيير بالقوة بغير عنف •• وهذا ، فى حد ذاته عمل عظيم وجايل ••

وثورة اكتوبر ثورة لم تكتمل بعد •• وانما هى تقع فى مرحلتين نفذت منهما المرحلة الأولى ولاتزال المرحلة الثانية تنتظر ميقاتها • المرحلة الاولى من ثورة اكتوبر كانت مرحلة العاطفة المتسامية ، التى جمعت الشعب على ارادة التغيير ، وكراهية الفساد ، ولكنها لم تكن تملك ، مع ارادة التغيير ، فكرة التغيير حتى تستطيع أن تبنى الصلاح ، بعد ازالة الفساد •• من أجل ذلك انفرط عقد الوحدة بعيد ازالة الفساد ، وأمكن للاحزاب السلفية ان تفرق الشعب ، وأن تضلل سعيه ، حتى وأدت اهداف ثورة اكتوبر تحت ركام من الرماد ، مع مضى الزمن •• وماكان للاحزاب السلفية ان تبلغ ما ارادت لولا ان الثوار قد بدا لهم ان مهمتهم قد انجزت بمجرد زوال الحكم العسكرى ، وان وحدة صفهم قد أستنفدت اغراضها •

والمرحلة الثانية من ثورة اكتوبر هى مرحلة الفكر المستحصد ، العاصف ، الذى يتسامى بارادة التغيير الى المستوى الذى يملك معه المعرفة بطريقة التغيير •• وهذه تعنى هدم الفساد القائم ، ثم بناء الصلاح مكان الفساد •• وهى مانسميه بالثورة الفكرية •• فان ثورة اكتوبر لم تمت ، ولاتزال نارها تتضرم ، ولكن غطى عليها ركام من الرماد •• فنحن نريد أن تتولى رياح الفكر العاصف بعثرة هذا الرماد •• حتى يتسعر ضرام اكتوبر من جديد ، فتحرق نارها الفساد ، ويهدى نورها خطوات الصلاح •• وليس عندنا من سبيل الى هذه الثورة الفكرية العاصفة غير بعث الكلمة : « لا اله الا الله » جديدة ، دافئة ، خلاقة فى صدور النساء ، والرجال ، كما كانت أول العهد بها ، فى القرن السابع الميلادى » •• هذا ما جاء فى ذلك الكتاب فى محاولة لتخليص ثورة اكتوبر من العنف •

الثورة الاسلامية الأولى

ان الثورة حين تكون عنيفة ، انما تحمل عناصر فنائها فى عنقها لأنها

لا تملك ، مع العنف ، أن تعتدل ، فلقد وردت كلمة عن المسيح يقول فيها :
« من أخذ بالسيف بالسيف يؤخذ » ولكن الثورات لا تملك أن تجد طريقها ميسرا ، حتى تستغنى عن العنف، ذلك بأن رواسب قانون الغابة،وافكار عهد الغابة ، تبرر فى نظر المغلوب ، العبارة المأثورة : « ما أخذ بالقوة لا يسترد الا بالقوة » •• والقوة عندهم هنا ليست كما هى عندنا فى العبارات التى اقتبسناها من كتاب « لا اله الا الله » •• وانما القوة هنا مرادفة للعنف •

ان التحول ، والتغيير ، والثورة ، التى تتم عن طريق الاقناع ، والفكر ، هى التغيير المأمون العواقب ، الثابت ، الذى يطرد كل حين ولاينتكس •• ولكن محاولة مثل هذه الثورة الفكرية السلمية ، انما هى محاولة مكتوب عليها الفشل ، اذا جاءت فى غير أوانها •• ويمكن القول ، على التحقيق ، بأن التغييرات التى حدثت فى المجتمع البشرى جميعها ، قد كانت القوة فيها مدفوعة الى استعمال العنف ، لأن المستوى البشرى ، فى الماضى ، والى يوم الناس هذا ، لم يبلغ المستوى الذى يغنى القوة عن استعمال العنف •• والثورة الاسلامية مثل من ابلغ الامثلة فى التاريخ ، على اضطرار الثائر للجوء الى العنف ، بعد محاولة طويلة ، وجادة ، فى تجنبه •• لقد جاءت الدعوة الاسلامية فى القرآن ، تركز على الاقناع ، وتمنع العنف ، بصورة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ •• يقول تعالى لنبيه :
« أدع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هى أحسن •• ان ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله ، وهو أعلم بالمهتدين ❋ وان عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به •• ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ❋ وأصبر !! وما صبرك الا بالله •• ولا تحزن عليهم •• ولاتك فى ضيق مما يمكرون ❋ ان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون » ويقول تعالى : « ولاتستوى الحسنة ولا السيئة •• ادفع بالتى هى أحسن ، فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم ❋ وما يلقاها الا الذين صبروا ، وما يلقاها الا ذو حظ عظيم » •• ويقول تعالى : « فذكر انما انت مذكر ❋ لست عليهم بمسيطر » ويقول تعالى : « لا اكراه فى الدين !! قد تبين

الرشد من الغى » •• قوله « لا إكراه فى الدين » منع للعنف واضح ••
قوله : « قد تبين الرشد من الغى » دعوة الى تبيين الحق ، من الباطل ،
بلسان الحال أولا ثم بلسان المقال •• وهى دعوة الى القوة ــ قوة الخلق ،
وقوة الفكر ــ اللذين بهما يكون الاقناع •• ويقول تعالى ، فى موضع آخر :
« وقل الحق من ربكم ، فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر •• » واستمر
القرآن على هذا النهج ، يدعو الى القوة ، ويمنع العنف ، مدى ثلاث عشرة
سنة ، يبتغى التغيير عن طريق الاقناع •• وكان المجتمع مجتمعا عبوديا ••
وقد جاءت دعوة القرآن الى التحرير ، والى المساواة بين الناس •• فهى
تقول : « ليس لعربى فضل على أعجمى الا بالتقوى » •• وتقول : « كلكم
لآدم وآدم من تراب •• ان أكرمكم عند الله اتقاكم » وهى تدعو الى
التوحيد ، وتقول للناس قولوا « لا اله الا الله » •• ومعنى هذه هو القول
للمستضعفين والمسترقين •• للعبيد من أمثال بلال وصهيب •• يا بلال !!
أنت وسيدك الهكم واحد !! وأن عندك الفرصة فى أن تكون خيرا منه ، ان
كنت أتقى لله منه •• « ان أكرمكم عند الله أتقاكم » •• ولما شعر الأقوياء
على العهد الجاهلى ، وأصحاب الامتياز ، وملاك العبيد ، ان هذه الدعوة
ستقوض نفوذهم ، وتحرر عبيدهم ، وتهدم القاعدة الاقتصادية عندهم ،
وتغير ميزان القيم فى مجتمعهم ، قاوموها •• وكعادة دهاء أصحاب النفوذ ،
قاوموها بدعوى الدفاع عن آلهة الأجداد ، ودين الآباء •• وقالوا : ــ

ان هذا الداعية الجديد يسب آلهتنا ، ويسفه أحلام آبائنا •• وليست
هذه هى الأسباب الحقيقية •• فقد كانت آلهتهم أصناما من الحجر ••
وكانوا هم ، على التحقيق ، أذكى من أن يدافعوا عن هذه الأحجار ، ولكن
الاحجار كانت ، فى الواقع رمز نفوذهم ، وسيادتهم ، وامتيازهم على
العرب •• فهم اذن انما كانوا يدافعون عن مصالحهم المادية •• وتفلت
ألسنتهم ، الفينة بعد الفينة ، بالسبب الحقيقى لعداوتهم للدعوة الجديدة ••
قالوا مرة مثلا : « ان محمدا يفسد علينا غلماننا » •• لقد قوومت الدعوة
الجديدة الي التغيير ، اذن ، بدوافع من الحرص على الابقاء على الامتياز

المتوارث •• ولم تنجح حيلة من الحيل فى اقناع اعدائها بالتنازل عن امتلاك رقاب البشر •• ولم يبق اذن الا أن تلجأ القوة الى العنف •• وشىء آخر ، فانه ، حتى المستضعفين ، لم تستطع الدعوة الجديدة أن تكسبهم الى جانبها ، وما ذاك الا لأنهم قد سقطوا فريسة لتضليل أصحاب النفوذ الذين كانوا يستغلون جهلهم ، ويحركون عاطفتهم اذ يتحدثون عن ميراث الآباء ، والاجداد ، وهم لا يهمهم من ذلك الا استمرار نفوذهم •• يقول تعالى فى الحكاية عنهم : « أم آتيناهم كتابا من قبله فهم به مستمسكون ؟؟ ❋ بل قالوا : انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مهتدون ❋ وكذلك ، ما أرسلنا ، من قبلك ، فى قرية ، من نذير ، الا قال مترفوها : انا وجدنا آباءنا على أمة ، وانا على آثارهم مقتدون ❋ قل : أو لوجئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ؟؟ قالوا : انا بما أرسلتم به كافرون » •• وقال تعالى عنهم : « ألم تروا ان الله سخر لكم مافى السموات ، ومافى الأرض ، وأسبغ عليكم نعمه ، ظاهرة وباطنة ؟؟ ومن الناس من يجادل فى الله بغير علم ، ولا هدى ، ولا كتاب منير ❋ واذا قيل لهم : أتبعوا ما أنزل الله قالوا : بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا •• أولو كان الشيطان يدعوهم الى عذاب السعير ؟؟ » • ثم انهم لما قويت معارضتهم للدعوة الجديدة ، التى ترمى الى التغيير من غير عنف ، وتفننوا فى تضليل السذج ، والبسطاء ، ليقفوا ضد مصالح أنفسهم ، وأصبح واضحا ان ليست هناك فرصة للاقناع ، ووجدت الدعوة الجديدة نفسها مضطرة للجوء الى العنف ، سحبت آيات الاسماح ، ونزل قرآن الجهاد ــ القرآن الذى يأمر القوة باستعمال العنف •• وقد ظن بعض الناس ان الاسلام لم يستعمل العنف الا دفاعا عن النفس •• وانما ساقهم الى هذا الخطأ بعض ملابسات التاريخ الاسلامى فى نشأته ، وظنهم أن استعمال العنف ، من حيث هو ، أمر معيب ، وحرصهم على الدفاع عن الاسلام مما يعتبر نقصا فى حقه ، فى اعتبار خصومهم •• والحق ان سبب لجوء الاسلام الى السيف انما يجىء من جهتين ، أولاهما : المقاومة التى لقيها من أصحاب النفوذ وممن وقعوا تحت تضليلهم ، أو تحت ارهابهم من

المستضعفين .. واخراهما : استحالة الاقناع فى وقت لم تكن العقول فيه مستنيرة بانتشار التعليم ، ولا القلوب فيه سليمة بتوفر أسباب الأمن ... وانما بدأ القرآن بتقديم آيات الاسماح ، وبالتركيز عليها ، لكونها الأصل . ثم لما ظهر ، ظهوراً عملياً ، ان الوقت غير مهيأ لتطبيق هذا الأصل ، نزل عنه على حكم الوقت ، واستبدله بالآيات الفرعية لتكون مرحلة تعد الناس للارتفاع الى مستوى الأصول وذلك بأن يكونوا قادرين على رؤية الحق ، وعلى التمييز الدقيق بينه ، وبين الباطل .. ويومئذ تكون قوة الحق كافية لاحداث التغيير الى الأحسن ، بين الافراد والمجتمعات ، من غير حاجة الى اللجوء الى العنف ..

ان الأصل فى اللجوء الى العنف ، انما هو مصادرة حرية من يسيء التصرف فى استعمال الحرية .. فان الناس لم يخلقوا عبثا ، وانما خلقوا لحكمة .. هذه الحكمة هى أن يعرفوا الحق ، وان يلزموا الحق ، وأن يكونوا بالحق احرارا .. وقد قال الله فى تقرير هذا : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون ❋ ما أريد منهم من رزق ، وما أريد ان يطعمون ❋ ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» .. فاذا كانت الحكمة من خلق الناس هى ان يعبدوا الله ، ثم ان الله أسبغ عليهم نعمه من جميع أنواعها فكفروا بها ، وعبدوا الحجارة ، التى ينحتونها بأيديهم ، مهدرين بذلك كرامة عقولهم ، وانسانيتهم ، فأرسل الله اليهم رسولا ، يعرفون فيه كمالات الصدق ، والخلق ، وأنزل عليهم قرآنا معجزا ، ثم لم يكن ردهم على كل اولئك ، الا الاصرار على الضلالة ، والغواية ، والكفر ، فقد دل ذلك على أنهم لا يحسنون التصرف فى حريتهم ، وانهم لايزالون فى حاجة الى وصاية عليهم تحملهم على الجادة ، وتصادر من حريتهم ، القدر الزائد عما يطيقون حسن التصرف فيه .. ان سبب العنف ، هو سوء التصرف فى ممارسة الحرية من المدعوين – سبب استعمال السيف هو نفسه سبب العقوبة بالنار فى الآخرة ، ولذلك فانه تبارك وتعالى قد قال : « فذكر انما انت مذكر ❋ لست عليهم بمسيطر ❋ الا من تولى وكفر ❋ فيعذبه الله العذاب الأكبر ❋ ان الينا ايابهم

❋ ثم ان علينا حسابهم ❋ » ففى قوله تعـــالى : « فذكر انما أنت مذكر ❋لست عليهم بمسيطر❋ » أمر للأسماح بالحرية ، ومنع للتسلط بالقوة ، وحد السلاح •• ثم جاء نسخ النهى عن التسلط فى حق من تولى وكفر فقال: « الا من تولى ، وكفر » •• فكأنه قال •• أما من تولى وكفر فقد جعلنا لك عليه سلطانا ••• هذا يؤخذ من قوله : « فيعذبه الله العذاب الأكبر » •• ففى عبارة « العذاب الأكبر » تنطوى عبارة العذاب الاصغر ، وهو العذاب بالسيف •• ومن أوضح الدلائل على ان سبب العنف فى الاسلام هو الكفر ، قوله تعالى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله •• فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » •• هذا هو سبب القتال فى الاسلام • ولكنه لم يبدأ الا بعد ان قوى المسلمون بالقدر الكافى ليستطيعوا أن يناجزوا ، والا بعد أن أعطى الكافرين الزمن الكافى ليرعووا •• وكل هــذا وضــع طبيعى ، ومنطقى •• وهذا الامهال هو الذى ضلل من ظنوا أن الاسلام لم يقـــاتل الا دفاعا عن النفس •• قوله : « وقاتلوهم » أمر صريح بالقتال •• قوله: « حتى لا تكون فتنة » غاية صريحة من وراء القتال •• والفتنة معنـــاها الشرك •• وحتى « يكون الدين لله » أمر صريح أيضا فى سبب القتال•• ثم قال : « فان انتــهوا » يعنى عن الشرك •• قــال : « فلا عدوان الا عــلى الظالمين » عنى بالظالمين الخارجين على القانون ممن دخلوا فى ظل الاسلام •• فكأنه أمر بمصادرة حرية من يسىء التصرف فى الحرية على مستويين : على مستوى السيف ، وعلى مستوى القانون • فأما الذين يرفضون الدخول فى ظل الاسلام فليس هناك قانون لمصادرة حريتهم التى اساءوا التصـرف فيها ، باصرارهم على الكفر ، الا قانون الحرب ـــ الا السيف ـــ ومن هھنـــا يجىء لجوء القوة الى العنف •• والمستوى الآخر هو مصادرة حرية الذين يظلمون الناس ، ويعتدون على حقوق الآخــرين ، ولكنهم هم قد دخلوا فى دعوة الاسلام •• فهؤلاء يقع « العدوان » على حريتهم ، حين اســاءوا التصرف فيها ، بالقانون ، لأنهم مذعنون لجملة الأمر ، فلاموجب لقتالهم •• ومن ههنا جاء قوله تعالى : « فلا عدوان الا على الظالمين » ، بعد أن قال :

« فان انتهوا » •• اقرأ مرة أخرى : « وقاتلوهم حتى لاتكون فتنة ، ويكون الدين لله ، فان انتهوا فلا عدوان الا على الظالمين » •

ان الأصل فى الانسان ، كل انسان ، انه حر ، حتى يعجز عن حسن التصرف فى حريته ، فاذا عجز صودرت حريته بقانون دستورى •• وغرض القانون ، حين يصادر حرية العاجز ، انما هو تربيته ليكون كيسا ، فطنا ، قادرا على حسن التصرف فى حريته ، فى مستأنف أمره •• وهذا هو السبب الذى جعل الاسلام « القرآن » يبدأ بعرض الحرية على الناس فى عهده المكى ، وذلك بانزال آيات أصول الدين ، ثم بالاستمرار على ذلك ثلاث عشرة سنة •• فلما ظهر ، ظهورا عمليا ، ان الناس ، بحكم الوقت ، عاجزون عن حسن التصرف فى الحرية ، صودرت حريتهم ، باستبدال آيات الأصول بآيات الفروع التى بها وقعت مصادرة الحريات ، فى مستوى السيف للجاحدين، وفى مستوى قانون الوصاية للمؤمنين •• ان الاسلام فى عهده الأول ، قد استعمل السيف كما يستعمل الطبيب المبضع ، لا كما يستعمل الجزار المدية •• فقد وجهت قوته الحكمة والرحمة ، مافى ذلك ريب ، ولكن قد كانت القوة فيه مقترنة بالعنف ، مافى ذلك ريب أيضا « يا أيها النبى جاهد الكفار ، والمنافقين ، وأغلظ عليهم ، ومأواهم جهنم وبئس المصير » •• « يأيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار ، وليجدوا فيكم غلظة •• وأعلموا ان الله مع المتقين » •• فلكأن تاريخ البشرية ، فى جميع صوره الماضية ، قد اقترنت فيه القوة بالعنف ، حتى فى الصور الملطفة التى يمثلها الجهاد فى سبيل الله فى الاسلام •• ولكن مستقبل البشرية سيدخله حدث جديد يتمثل فى طلاق القوة من العنف •• وهذا هو جوهر دعوتنا ، نحن الجمهوريين، الى بعث الاسلام ، ، ببعث « لا اله الا الله » فى مستوى آيات الأصول ، التى كانت ، فى عهد الاسلام الأول ، منسوخة ، وهو أمر قد تحدثنا عنه باستفاضة فى كتابنا : « الرسالة الثانية من الاسلام » •• فليراجع فى موضعه •

الثورة الاسلامية الثانية :ــ

ثورة الاسلام الأولى اذن اقترنت فيها القوة بالعنف ، وان كان عنفها

يختلف عن العنف المألوف الذى تراد به السيطرة من القوى على الضعيف فى غير حكمة نفع يعود على الضعيف ، الا نفعا يجىء عن طريق عرضي ، غير مراد من القوى •• ولكنه عنف على أى حال •• وقد حاولنا تبيين ذلك •• وأما ثورة الاسلام الثانية ، التى بها تكون عودته من جديد ، فانها ثورة تقوم على القوة المبرأة من العنف ، وذلك بفضل الله ، ثم بفضل حكم الوقت، حيث أن البشرية قد تقدمت تقدما كبيرا ، وأصبحت مستطيعة أن ترى الحق ، وأن تتخذ الحق سبيلا حين تراه ••

قال تعالى فى حق بعث الرسول : « وما أرسلناك الا كافة للناس ، بشيرا ونذيرا ، ولكن أكثر الناس لا يعلمون » •• فالنبى مبعوث بثورة الاسلام الأولى وبثورة الاسلام الثانية •• وهو فى كلتيهما بشير ، ونذير ، ولكن حظ البشارة ، فى الثورة الأولى ، قد كان قليلا ، وحظ النذارة كبيرا •• وسيكون حظ البشارة ، فى الثورة الثانية ، كبيرا ، وحظ النذارة قليلا •• ان الاسلام ، فى ثورته الأولى ، لم يكن دين تبشير ، وانما كان دين جهاد ••ولم يكن التبشير به بعد أن شرع الجهاد ليتعدى أمر الدعوة الى المصحف ، قبل الشروع فى القتال •• فقد كان المجاهدون المسلمون اذا لقوا عدوهم لا يبدأونهم بالقتال ، وانما بدعوتهم الى الاسلام •• يقولون : أسلموا تكونوا اخواننا •• لكم مالنا ، وعليكم ما علينا •• فان هم أبوا عليهم هذه يقولون : أدوا الينا الجزية ، تعيشوا بيننا ، نحميكم ونحمى معابدكم •• فان هم أبوا هذه قاتلوهم •• والحكمة وراء أخذ الجزية منهم انما هى الحرص على الدم البشرى ألا يراق الا لدى الضرورة القصوى •• فأنهم ، حين يدفعون الجزية ، ويعيشون فى المجتمع الاسلامى ، انما يعيشون فترة انتقال يعرفون خلالها الاسلام ، مطبقا ، ومعاشا ، فى حياة المسلمين •• وسيغريهم الحال بالانتقال من حالة دفع الجزية ، وهى حالة مهانة، الىحالة دفع الزكاة ، حيث وجبت ، وهى حالة كرامة •• ذلك لأن مال الزكاة عبادة ، ومال الجزية عقوبة •• لم تكن البشارة ، فى ذلك العهد ، تتعدى هذا الحد ، وكانت السيادة للنذارة •• ولذلك فقد جاءت أول آية من آيات البعث ـ

بعث النبى ليكون رسولا ــ جاءت أول آية من آيات الرسالة بالنــذارة : « يا أيها المدثر قم فأنذر » •• ومن يومئذ جاء تقديم النذارة على البشـارة •• وانما عن النذارة جاء استخدام القوة للعنف • ولقد كانت الثورة الأولى ثورة مرحلية لتعد الأرض للثورة الثانية ، حيث لا مكان للعنف وانما هــو الاسماح •• وآية الثورة الثانية من كتاب الله : « لا اكراه فى الدين •• قد تبين الرشد من الغى » هذه هى آية البشارة •• وقد كانت منســوخة فى عهد النذارة لأنها كانت أكبر من المجتمع يومئذ •• وهى صــاحبة الوقت اليوم : « لا اكراه فى الدين •• قد تبين الرشد مــن الغى •• فمن يكفــر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها •• والله سميع عليم » قوله تعالى : « لا اكراه فى الدين » ، منــع للعنف •• قوله : « قد تبين الرشد من الغى » ، تقرير بأن الرشــد قد تبين مــن الغى ، وذلك بنزول القرآن الموضح لفضائل الايمان ، ورذائل الكفر •• وهو أيضا أمر ، ومطالبة بتبيين الرشد من الغى ، وذلك بأن يطبق الدعاة ما يدعون اليه قبل مباشرتهم هذه الدعوة ، حتى تكون دعوتهم الى الرشد مبينة بلسان الحال ، قبل لسان المقال •• فقد جرى حديث قدسى الى عيسى قال فيه ، جل مــن قائل ، « يا عيسى عظ نفسك ، فان اتعظت فعظ الناس ، والا فاستحى منى » •• والدعوة بلسان الحال هى أصدق الحديث •• ولا خير فى الدعوة بلســان المقال ، اذا لم يكن مصحوبا بلسان الحال ، فانه وارد عن النبى فى هــذا الأمر قوله لابن عمر : « دينك !! دينك !! يا بن عمر !! ولا يغــرنك ما كان منى لأبويك •• وخذ ممن أستقاموا ، ولا تأخذ ممن قالوا » ••

وحين لم يكن الاسلام ، فى ثورته الأولى دين تبشير ، وانما كان دين جهاد ، فانه ، فى ثورته الثانية ، دين تبشير ، ولامكان للســيف فيه ، على الاطلاق •• والذين يتحدثون عن عودة الاسلام ويتحدثون عــن السيف ، يخطئون حقيقة الاسلام ، ويخطئون حكم الوقت ، فى آن معــا •• وهم يحسنون ، الى أنفسهم ، ويحسنون الى الاسلام ، اذا تركوا هذه الدعــوة المعوقة ••

لقد تحدثنا عن ثورة الاسلام الثانية فى كتابنا ‥ « الرسالة الثانية من الاسلام » ‥ فالرسالة « الثانية من الاسلام » انما تعنى ما تعنيه « ثورة الاسلام الثانية » فليراجع هذا الكتاب بتأن ‥

لقد اسلفنا القول بأن النبى مبعوث « بثورة الاسلام الأولى »، « وبثورة الاسلام الثانية » ‥ وقلنا انه فى كلتيهما بشير، ونذير ‥ وقلنا أن حظ البشارة فى الثورة الاولى قد كان قليلا، وحظ النذارة كبيرا، ومن ثم جاء السيف ‥ وقلنا أن حظ البشارة فى الثورة الثانية سيكون كبيرا، وحظ النذارة قليلا ‥‥ وان يتعدى حظ النذارة التنفير من الجهل، والتشجيع على العلم ‥ وهذا معنى قوله، من الآية التى تمنع الاكراه، والتى أوردناها قبل قليل : « فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن باللهفقد استمسك بالعروة الوثقى، لاانفصام لها ‥ والله سميع عليم » ‥

والتبشير بالاسلام أمر يتطلب أن يكون المبشر، من سعة العلم بدقائق الاسلام، وبدقائق الأديان، والافكار، والفلسفات المعاصرة، بحيث يستطيع أن يجرى مقارنة تبرز امتياز الاسلام على كل فلسفة اجتماعية معاصرة، وعلى كل دين، بصورة تقنع العقول الذكية ‥ وأن يكون من سعة الصدر بحيث لاينكر على الآخرين حقهم فى الرأى ‥ وأن يكون من حلاوة الشمائل بحيث يألف، ويؤلف من الذين يخالفونه الرأى ‥ وهذه هى الصفات التى لاتكتسب الا بالممارسة ‥ أعنى — ان يمارس الداعى دعوته فى نفسه، وأن يعيشها — أعنى أن يدعو نفسه أولا، فان استجابت نفسه للدعوة دعا الآخرين ‥ فان شر الدعاة هم الوعاظ الذين يقولون مالا يفعلون ‥ ففى حق هؤلاء وارد شر الوعيد ‥ قال تعالى « يا أيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون ❋ كبر مقتا عند الله أن تقولوا مالا تفعلون » ‥ ومقت الله شر ما يتعرض له العبد ‥

الثورة التى لا تقترن فيها القوة بالعنف اسمها الدقيق « التطور » ‥ وهى، اذ تسمى ثورة، انما تسمى من قبيل سرعة التغيير الذى يجرى بها، فانه من المألوف أن « التطور » وئيد، وان « الثورة » سريعة ‥ وانما كان

التطور وئيدا لأن الذكاء البشرى قد كان متخلفا ، وقد كانت العـــادة هى المسيطرة ، والحائلة دون التجديد ، بل حتى دون الفضيلة ، فى بعض الاحيان •• قال تعالى فى النعى على العادة : « واذا فعلوا فاحشة قالوا : وجـــدنا عليها آباءنا ، والله أمرنا بها •• قل ان الله لا يأمر بالفحشاء •• أتقـــولون على الله مالا تعلمون ؟؟ * قل أمر ربى بالقسط ، واقيموا وجوهكم عند كل مسجد ، وأدعوه ، مخلصين له الدين ، كما بدأكم تعودون » •• والتقـــدم البشرى جميعه انما هو محاولة أن يقوى الذكاء البشرى ويتـــولى قيادة سفينة التغيير فى مدارج التطور المستمر ••

الثورة الفكرية

الفكر هو وظيفة حاسة العقل •• ففى حين أن : ــ

النظر هو وظيفة العين ••

والسمع هو وظيفة الأذن ••

والشم هو وظيفة الأنف ••

والذوق هو وظيفة اللسان ••

واللمس هو وظيفة اليـــد ••

فان الفكر هو وظيفة العقل •• والعقل هو جمـــاع هـــذه الحواس الخمس ••

ففى ابدء كان القلب : « ان أول بيت وضـــع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين » وكقشرة تقى القلب ظهر الجســـد •• ومن الجسد ظهـــرت الحواس التى ذكرناها أعلاه ، ثم تمركزت ، وبها ظهر العقـــــل •• فالقلب مخدوم ، والجسد ، والعقل ، خادمان ووظيفة العقل الادراك •• والعقـــــل الحيوانى وحدة غير منقسمة •• وهو موظف لتحصيل اللذة •• وهـــو ، فى هذا المستوى ، حظ مشترك بين الحيوان الواطى والانسان الرفيع •• وهو ما سمى « بالنفس الأمارة » •• « ان النفس لامارة بالسوء » •• ثم وقعت القسمة بالتكليف الاجتماعى ، قبل التكليف الشرعى ، وذلك بدخول أعـــراف

المجتمع لتقييد تصرفات الافراد •• ثم زادت القسمة وتوكدت بمجىء الشرائع السماوية المتقدمة ، والتى تقوم على التوحيد ، وعلى الايمان بالغيب •• وقسمة العقل التى تهمنا هنا انما هى القسمة فى مستوى العباد السالكين الذين دخلوا مرحلة النفس اللوامة •• ولو أن القسمة حصلت قبل ذلك بوقت طويل •• وعن هذه القسمة ورد باطن الآية : « أولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما ؟؟ » •• ومعلوم ان ظاهر الآية يتحدث عن السموات ، والأرض ، فى آيات الآفاق •• والانقسام الذى حصل انما هو ظهور اللطيف من الكثيف •• والفكر انما هو حركة العقل بين اللطيف والكثيف •• وبهذه الحركة يقع الادراك •• وهذه الحركة سريعة ، حساسة •• هى أسرع من حركة العين بالنظر •• وهى لا يستقر لها قرار ، وانما هى فى ذبذبة مستمرة ، وحتى عندما يكون الانسان نائما فانها تتخذ صورا قد تظهر فى الأحلام ، وقد تكون بعيدة من السطح ، مختفية فى الأغوار •• ومن ثم ، فان حركتها فى الاحلام قد تكون منسية لدى صاحبها •• وهذه القوة التى تتحرك فى العقل بين طرفيه ، اللطيف والكثيف ، والتى بحركتها يكون الفكر انما هى قوة الذكاء •• وطرفا العقل ، المختلفان اختلاف مقدار ، بين الكثافة واللطافة ، هما المسميان ، فى التعبير الدينى ، بالنفس والروح •• وهما نقيضان لدى النظرة السطحية ، ولكنهما شىء واحد لدى التحقيق الدقيق •• والاختلاف بينهما انما هو اختلاف فى المقدار •• هو كالاختلاف الذى يكون بين الشفرة وحد الشفرة ، كلاهما من مادة واحدة ، ولكن حد الشفرة مسحوبة فيه المادة الى لطافة جعلته حادا ، وقاطعا •• وبندول الفكر ، فى حركته ، وذبذبته المستمرة ، والسريعة ، بين هذين الطرفين المتناقضين ، فى ظاهر الأمر ، دائما يمر بنقطة وسط بينهما •• هذه النقطة الوسط تمثل التفكير المستقيم •• ولكن ، لكثرة ، ولسرعة اضطراب الفكر بين طرفى النقيض ، فانه لا يكاد ينفق وقتا فى نقطة استقامة التفكير هذه •• هذه النقطة التى يمر عليها ، وهو لايكاد يشعر بها ، تقع فى خط الاستواء ، وهو خط الاستقامة الذى ورد عندنا فى : « اهدنا السراط

المستقيم ❁ سراط الذين أنعمت عليهم، غير المغضوب عليهم ،ولا الضالين» .
« فالمغضوب عليهم » « يمثلون طرفا ، « والضالين » يمثلون الطرف الآخر من طرفى النقيض .. ولايكون التفكير سليما ، ولا مستقيما ولا مسددا ، الا اذا استطاع أن ينفق وقتا أطول فى نقطة خط الاستواء .. وهذه هى وظيفة التوحيد وهى وظيفة الصلاة .. وهذا التفكير السليم هو التفكير الذى يريده الدين عندما قال تعالى : « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس مانزل اليهم .. ولعلهم يتفكرون » .. ولقد قلنا : ان العلة وراء ارسال الرسول ، ووراء انزال القرآن ، وتشريع الشريعة ، انما هو الفكر : « ولعلهم يتفكرون » .. وليس بالفكر عبرة ان لم يتهذب ، ويتأدب ، بأدب شريعة القرآن ، وبأدب حقيقته .. وأدب الشريعة ينهانا عن العجلة ، ويأمرنا بالصبر .. وأدب الحقيقة ينهانا عن العجلة ، ويأمرنا بالصبر .. وهما فيما يأمراننا لا يختلفان الا اختلاف مقدار . وسبب العجلة التى تؤوف حياتنا ، وتفكيرنا ، وأخلاقنا ، انما هو الخوف .. الخوف على الحياة ، والخوف على الرزق . ولذلك فقد وظف القرآن نفسه لتحريرنا من الخوف ، حتى يستطيع فكرنا أن يطيل مكثه فى نقطة خط الاستواء هذه . ولقد تحدثنا عن ذلك عند حديثنا عن وظيفة الصلاة .. فاننا لننتصر على الزمن كلما سيطرنا على حركة الفكر هذه بين الطرفين النقيضين .

عند ماركس فان التوحيد انما يتم بالصراع بين النقيضين .. وللنقيضين عنده صور كثيرة ، ولكن أكثر ما يهتم بها منها انما هو الوضع الطبقى بين المستغلين « بكسر الغين » والمستغلين (بفتح الغين) .. فان الطبقتين تمثلان نقيضين .. ويقع بين هذين النقيضين صراع ، لابد من العنف فيه ، فتظهر ، نتيجة لهذا الصراع ، طبقة ثالثة موحدة .. ثم لا تلبث هذه الطبقة الموحدة أن يظهر فيها النقيضان .. ثم ان هذين النقيضين لا يلبثان أن يصطرعا بينهما كما جرى لسابقيهما .. وهذا يستمر لغير نهاية ، لأن كل توحيد عنده يحمل عنصر التناقض فى ذاته .. وهذا ما أسماه بالصراع الطبقى ، وماقال

عنه فى أحد مبادئه الأربعة : « التاريخ ماهو الا سجل لحرب الطبقات » ••
وهذه هى فلسفته فى علمية التاريخ التى سماها « المادية التاريخيـــة » ••
ولما كانت فكرة الخالق مجحودة عند كارل ماركس فقد تبع ذلك رفض وحدة الوجود •• ومن ثم فان المتناقضين عنده يقومان على اختلاف نوع •• وهذا ما يجعل العنف عنده أصلا من الأصول •• وهو ، بطبيعة الحال ، أس الخطأ فى تفكير ماركس ، مما يجعل الماركسية مرحلية •• وان كانت هذه المرحليـــة فى غاية الأهمية فى تاريخ تطور المجتمع فكريا ، واجتماعيا ، وسياسيا ، فى القرنين الأخيرين •• الماركسية مرحلية لأنها ، حين قطعت صلتها بالغيب ، عجزت عن ادراك القوة التى تؤثر فى تطور الانسان من خارج المادة •• لقد خدمت الماركسية غرضا كبيرا ولكنها قد استنفدت غرضها هذا ، وأخـــذت تدخل التاريخ •• وهى لن تكون لها فى المستقبل غير قيمتها التاريخية هـــذه ••وهى قيمة كبيرة ، من غير شك ، اذ قد شكلت قنطرة تربط ، ربطا عمليا ، فى مجال الفكر ، ومجال التنفيذ ، بين المـــادة والروح •• فهى بذلك ــ أعنى الماركسية ــ قد جعلت عودة الاسلام ، من جديد ، ممكنة ، وواجبة ••

التناقض موجود فى الاسلام •• والتوحيد بين المتناقضين هو عمـــل كلمة التوحيد : « لا اله الا الله » •• فقد قلنا ان التفكير هو الجـــولان بين متناقضين ، هما : الروح ، والنفس •• والنفس كثيفة ، مظلمة •• والروح لطيفة ، مشرقة •• ومن هاتين الهيئتين يقوم التناقض بين الروح والنفس. ولكن التوحيـــد يمنـــع اختـــلاف النوع ، ويقول ، ان كل الأختـــلاف ، بين كل مظاهر الوجود ، انما هو اختلاف مقدار •• ويقول ان الروح مادة فى حالة من الاهتزاز لا تتأثر بها حواسنا ، وان النفس مادة فى حـــالة مـــن الاهتزاز تتأثر بها حواسنا •• فالاختلاف اذن بين الروح والنفس ، انما هو اختلاف سرعة الذبذبة بينهما ، ولكن كلتاهما مادة •• والمادة انما هى طاقة. وهذه الطاقة انما هى ارادة الخالق الواحد •• ومن ههنا فان التوحيد مقرر مسبقا ، وذلك لوحدة العقل الكلى الذى ما الوجـــود المتعدد المظاهر الا أثره الملموس •• والتوحيد ، الذى نتحدث عنه فى الدين ، انما غرضـــه ترويض

العقل الحادث ــ عقل الانسان ــ على محاكاة ، أو قل تقليد ، العقل الكلى فى نزاهته عن الرغبة ، وفى عدم ميله مع الهوى •• ذلك لأن الهوى هو آفة التفكير الاساسية •• وقديما قال أرسطو فى تعريف القانون بأنه : « العقل الذى لم يتأثر بالرغبة » ، يعنى العقل المحايد •• وتحييد العقل هو عمل الدين ، ووظيفة الصلاة ، ولقد تحدثنا عن ذلك فى جملة من كتبنا ••

هذا ، وأكبر النقيضين فى الفكر الاسلامى انما هما الرب ، والعبد ، والاختلاف بينهما انما هو اختلاف مقدار ، لأن العبد انما هو تنزلات الرب من الاطلاق الى القيد •• والعبد يكدح ليقطع المسافات ــ مسافات بعد الصفات ــ ليعود الى الاطلاق مرة أخرى ، وهيهات !! ذلك لأن السير فى هذا المضمار انما هو سير سرمدى •• ومعلوم عند من أوتوا العلم أنه ، من كل الوجود ، لايبقى فى آخر الامر ، الا الرب والعبد •• وبقاؤهما سرمدى • والحجاب القائم بين الرب والعبد ، ولن ينفك ، انما هو العقل •• انما هو الطرف اللطيف من العبد ، وهو العقل •• فبالعقل تقع الزيادة فى الترقى ، وبه يقع الحجاب •• والعبادة انما هى محاولة مستمرة لرفع الحجاب وذلك بتحييد العقل •• ولقد قال ، جل من قائل : «ان كل من فى السموات والارض الا آتى الرحمن عبدا ❋ لقد أحصاهم وعدهم عدا ❋ وكلهم آتيه يوم القيامة فردا » •• وليس اتيان العبد الرب بقطع المسافات ، وانما هو بتقريب الصفات من الصفات •• ومن أجل تقريب الصفات من الصفات جاء أمره تعالى « كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ، وبما كنتم تدرسون» •• ومع ان الصراع بين المتناقضين فى الاسلام قائم ، والعنف طرف فيه ،كما قد بينا ، غير أنه ، عندما يعرف العبد ، بفضل الله ، ثم بفضل العبادة ، ان الصراع الذى يقع بينه وبين بيئته الطبيعية والبشرية انما هو ، فى الحقيقة ، صراع بينه وبين ربه ــ انما هو اعتراض منه على ربه ــ فانه عندما يعرف ذلك ينساق الى ترك العنف ، والى المسالمة والى احتمال الأذى من الناس ، وكف الأذى عن الناس •• وانما من هذا المشهد جاءت وصية المسيح : « من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر ، كذلك » وجاءت وصيته :

أحبوا اعداءكم !! باركوا لاعنيكم !! وصلوا من أجل الذين يسيئون اليكم !! ويطردونكم !! » •• ولكن حكم الوقت قد جعل وصايا المسيح غير عملية ، وغير ممكنة التطبيق •• ولذلك فانها ، عمليا وتطبيقيا ، قد كانت منسوخة ، فلم يعشها أحد غيره •• لا !! ولا تلميذه الأكبر ، بطرس !! ولقد جاءت دعوة الاسلام ، فى بدء أمره ، على نحو من هذا الاسماح ، ولكن حكم الوقت قد جعلها ، من الناحية العملية والتطبيقية ، غير ممكنة ، ولذلك فقد نسخت وما عاشها ، بعد النبى أحد •• لا !! ولا صاحبه الأكبر ابوبكر الصديق !! ولكن ، من فضل الله علينا ، وعلى الناس ، ان نسخها لم يتركنا فى فراغ ، وانما جاء بقرآن فرعى ، عليه قامت المرحلة التى تناسب حكم الوقت ، وتنقل المجتمع ليكون فى مستوى تطبيق الوصايا فى التشريع ، وتطبيق الاسماح هذا الذى لم يطقه مجتمع الوقت الماضى •• وهذا الصنيع هو الذى جعل الاسلام أكمل من اليهودية ، ومن النصرانية •• ذلك لأن آيات فروعه عاملة ، فى مستوى القاعدة ، كشريعة للعامة ، فى الوقت الذى تظل فيه آيات أصوله ـ آيات الاسماح والتسامح ـ فى القمة ، وصايا غير ملزمة لأحد ، وانما يدخلها من أطاق من باب الندب •• ثم ان الاسلام ، حين تكتمل الدعوة لأصوله ، انما تكون فروعه عاملة ، فى بعض صورها ، كقاعدة لشريعة العامة ، منها يتسامون الى مراتب العزائم التى تقوم على أصول آياته •• قال تعالى فى الأصول والفروع : « والذين اذا أصابهم البغى هم ينتصرون ❋ وجزاء سيئة سيئة مثلها •• فمن عفا ، وأصلح فأجره على الله •• انه لا يحب الظالمين ❋ ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل ❋ انما السبيل على الذين يظلمون الناس ، ويبغون فى الأرض بغير الحق •• اولئك لهم عذاب أليم ❋ ولمن صبر ، وغفر ، ان ذلك لمن عزم الأمور » •• ان هذا لمن النسق العالى فى سياسة النفوس ، وتربيتها ، والتسامى بها الى القمم المطلوبة •• فان الانسان بطبيعته المكتسبة ـ بطبيعته الثانية ـ شكس ، ومفترس ، ومتعد •• ويجد الميل فى نفسه « لأن يكيل الصاع صاعين » ، كما يقال •• فأنت لا تستطيع أن تطلب اليه

من هذا الغور السحيق أن يصعد الى القمة ، وأن يسمح ولاتستطيع أن تطلب اليه أن يحتمل الأذى ، وأن يكف الاذى ٠٠ ولكنك قد تستطيع أن تطلب اليه أن « يكيل الصاع صاعا » ، بدلا من صاعين ، بمعنى ان يعتدل ، وأن يكون عادلا ٠٠ تستطيع ان تطلب اليه ان يجزى السيئة بسيئة ، ولا يزيد ٠٠ وهو قد يمكنه أن يفهمك ، وقد يمكنه أن يستجيب لدعوتك ، وان كانت تكلفه شيئا قد يكون جديدا على نفسه ، ولكنه شيء ممكن ، بقليل من المجهود ٠ ومن هذا القبيل جاء قوله تعالى :« وجزاء سيئة سيئة مثلها ٠٠ » ومن هنا فان المقتص لنفسه ممن اعتدى عليه لا يشعر بجرم الخروج عما أراد الله ، وعما يرضى ، وان كان قد يشعر بأن المزيد من مرضاة الله لايزال أمامه ، لأنه قد ندب ، ولم يكلف ، الى العفو ٠٠ فانه تعالى قد قال ، فى تمامة الآية : « فمن عفا ، وأصلح ، فأجره على الله » « وعفا وأصلح » هذه تقابل عبارة المسيح حين قال : « أحبوا اعداءكم !! باركوا لاعنيكم !! وصلوا من أجل الذين يسيئون اليكم ، ويطردونكم !! » ٠٠ هى فى مقابلة هذه ٠٠ وهى أكبر من قوله : « من ضربك على خدك الايمن فأدر له الايسر كذلك » ٠٠ ولكن القرآن قد وضع السلم لتحقيق هذه الغاية الرفيعة ، حين تركها الأنجيل معلقة فى الهواء ٠٠ ثم تأمل الآية الاخيرة ،التى أوردناها : « ولمن صبر ، وغفر ، ان ذلك لمن عزم الامور » ٠٠ تأملها مليا ، بعد أن تتأمل الآيات التى سقناها قبلها ٠٠

ان الاسلام ، اذن ، بفكرة التوحيد ، التى تقوم على وحدة الخالق ، ووحدة الوجود ، والتى تجعل الاختلاف بين المظاهر المتباينة ، والمتعددة ، انما هو اختلاف مقدار بين مظهرين من الشيء الواحد ، استطاع أن يسقط العنف فى أول الأمر ، وأن يسعى لتحقيق التسامح والمصالحة ، والمحبة فى آخر الامر ٠٠ « والديالكتيك » الذى فى اعتبار ماركس ، يقع بين المتناقضين، ويجرى فيه العنف ، هو فى الاسلام عند النهايات ، وحين يكون المتناقضان العبد والرب ، انما يتخذ صورة الأعتراف ، والندم على الاخطاء التى وقعت من العبد نحو الرب ، وظهر بها العبد قليل الأدب مع ربه ٠٠ هذا

« الديالكتيك » يجرى عن طريق الاستغفار ، ولا مكانة فيه اذن للعنف ٠٠ ولقد تحدثنا عن هذا فى كتابنا : « تعلموا كيف تصلون » ٠٠ وخلاصة مايقال هنا ان غرض « الديالكتيك » فى الأسلام « اقرأ التوحيد » ، انما هو ايجاد التناسق ، والتوافق ، والانسجام ، والمحبة ، بين المتناقضات ٠٠ هو ايجاد كل ، موحد ، متسق ، من المظاهر المختلفة فى الوجود ٠٠ وهذه هى الصفة التى أعطت الاسلام القدرة على التوفيق بين الفرد والجماعة ٠٠ التوفيق بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة الجماعة الى العدالة الاجتماعية الشاملة ٠٠ هذا فى حين عجزت عن هذا التوفيق الماركسية ، وظنت ان الفرد والجماعة متناقضان ، ولا تتسق مصلحتاهما فى كل منسق متحد أبدا ٠٠ وانما هو الفرد ، أو الجماعة ٠٠ فكان أن اهتمت بحقوق الجماعة ، وأهدرت حرية الفرد ٠٠ وفى هذا العجز يكمن فشل الماركسية ٠٠

وبالرغم عن كل ما يقال ضد الماركسية فأن لها أفضالا لايمكن التغاضى عن أهميتها ولا يمكن بخسها حقها ٠٠ وأيسر هذه الفضائل أنها قد هيأت الفرصة لمجئ ثورة الأسلام الثانية ، التى قلنا ان بها تتصحح المعادلة الماركسية تلك التى تقول : «العنف والقوة هما الوسيلتان الوحيدتان لتحقيق أى تغيير أساسى فى المجتمع » ، وانما يكون تصحيحها باسقاط العنف منها ٠٠ فان الله ، تبارك وتعالى ، بمحض فضله ، ثم بفضل اظهاره ماركس فى الآونة الاخيرة ، فقد سار الصراع الطبقى بذكاء ، وبعلمية ، جعل القوة تتقدم وضرورة العنف تقل مما فتح الطريق لاسقاطه من الأعتبار تماما ، أو ، على الأقل ، لحده فى نطاق ضيق ، عندما يراد احداث تغيير فى المجتمع

ومن ههنا ظهور ما يسمى ، فى الوقت الأخير ، بالثورات البيضاء ،وهى الثورات التى يحدث بها التغيير من غير اراقة للدماء ، أو باراقة للدماء تعتبر قليلة ، اذا ما قيست الى الثورات فى الماضى ٠٠ ليس معنى هذا ان الأفراد البشريين ،والمجتمعات قد استغنت عن العنف تماما ، ولكن معناه ان العنف قد أصبح مستهجنا من كثير من الناس ، مما يوحى بأن وقته قد آذن بزوال ٠٠

ان الأنسان المتمدين الذى يعيش على قانون الانسان ، ويتخلص تماما من قانون الغابة قد أظلنا عهده •• ونحن ، لنجعل مجيئه ممكنا ، وسريعا ، انما نحتاج الى الدعوة الى مجتمع سمح تقوم علائقه على قانون الانسانية، المتخلصة تماما من رواسب قانون الغابة •• وهذه هى القوانين الدستورية التى تستمد من الدستور الانسانى « اقرأ الدستور الاسلامى » •• هـذا على أن يكون الاسلام مفهوما فهما جديدا قائما على نسخ آيات الفروع ؛ وبعث آيات الأصول •• فانه ليس فى آيات الاصول أى أثر لقانون الغابة •• والقانون الدستورى المستمد من هذا الدستور الأنسانى هو ذلك القانون الذى يوفق ، فى سياق واحد ، بين حاجة الفرد الى الحرية الفردية المطلقة ، وحاجة المجتمع الى العدالة الاجتماعية الشاملة •• والفرد فيه غاية فى ذاته، والجماعة أكبر وسائل تحقيقه •• ولما كانت الوسيلة الكاملة طرفا من الغاية الكاملة فقد وجب أن يكون مجتمعنا كاملا •• وليكون مجتمعنا كاملا: يجب أن يقوم على ثلاث مساويات : المساواة الاقتصادية ، وهى الاشتراكية التى تتطور نحو الشيوعية ، حيث تكون خيرات الأرض مشاعة بين الناس • والمساواة السياسية ، وهى الديمقراطية النيابية التى تتطور نحو الديمقراطية المباشرة •• والمساواة الاجتماعية حيث يكون التزاوج ممكنا بين الرجال والنساء فى جميع مستويات المجتمع •• تضاف الى هذه المساويات الثلاث سماحة الرأى العام •• فقد يجب أن يهذب ، ويعلم الرأى العام ، بحيث يكون سمحا ، حرا ، لا يضيق بأنماط الفكر الحر •• ثم ان اعدادنا للمجتمع ، فى هذا المستوى الرفيع ، لا يعدو أن يكون اعدادا للمسرح الذى يمثل فيه كل فرد دوره الفردى ، بمجهوده الفردى ، لأحراز كمالاته الفردية •• ولانضاج فرديته التى ينماز بها عن أفراد القطيع •• ولابد لنا من منهاج تربوى ، اذن ، بممارسته يصل الأفراد الى تحقيق هذه الفردية • هذا المنهاج هو تقليد «قدوة التقليد» ، محمد النبى الأمى، الذى قال الله تعالى عنه : « قل ان كنتم تحبون الله ، فاتبعونى •• يحببكم الله » •• هذا المنهاج الذى يمارس على أديم أرض مملوءة عدلا ، وعلما ، وسلاما ، ومحبة ،

هو الذى ينتج « الثورة الفكرية » .. فالثورة الفكرية هى قوة واستقامة ، ومضاء ، وسرعة انطلاق الفكر القوى ، يكشف الجهل ، وينفذ الى دقائق العلم ، ويحرر صاحبه من الخوف ، ويسوقه سوقا الى حظيرة المحبة ، والانس .. الثورة الفكرية حرب لا هوادة فيها ، ضد الخرافات ، والاباطيل ، والأوهام — ضد الجهل فى أى صورة من صوره — وهى ، من ثم ، انتصار للأحياء ، والأشياء .. الثورة الفكرية تجديد للحياة ، فى مراقى الكمال ، متخلقة ، فى ذلك ، بأخلاق الله ، الذى قال عن نفسه : « كل يوم هو فى شأن » .. ثم ، أنه ، سبحانه وتعالى ، لا يشغله شأن عن شأن .. وانما شأن الله تعالى هو تعليمه لخلقه ، واظهاره ذاته لهم ليعرفوه .. وانما شأن الانسان الكامل هو أن يحسن التلقى عن الله .. ولما كان يوم الله ليس أربعا وعشرين ساعة ، وانما هو « زمنية » تجليه تعالى ، وظهوره لعباده ، فأن هذه « الزمنية » لتدق حتى أنها ، عند التجلى الذاتى ، لتخرج عن أن تكون زمنا .. وهذا هو الذى يوجب على العارف أن ينتصر على الزمن ، ويرتفع الى مقام الصلة الكبرى ، ذلك المقام المحمود الذى تحقق للنبى ، بمحض فضل الله تعالى ، فى تلك الجمعية الكبرى التى تمت له ليلة المعراج ، والتى قال عنها الله ، تبارك وتعالى : « اذ يغشى السدرة ما يغشى ❋ مازاغ البصر وما طغى » .. « اذ يغشى السدرة » محمد .. « مايغشى » من التجلى الذاتى على محمد .. « مازاغ البصر وما طغى » .. « البصر » الفكر .. « مازاغ » ما اشتغل بالماضى .. « وما طغى » ، ما اشتغل بالمستقبل .. ومعنى هذا ان ذبذبة بندول الفكر قد توقفت .. ومعنى هذا انه قد تم رفع حجاب الفكر ، فأصبح النبى قلبا كله ، أى تمت له الوحدة الذاتية ، فى الوحدة الزمانية ، فى الوحدة المكانية .. وهو قد عبر عن ذلك فقال : « ليلة عرج بى انتسخ بصرى فى بصيرتى فرأيت الله » .. هذا هو المقام الذى توصل اليه « الثورة الفكرية » . ولقد كانت الثورة الفكرية فى القرن السابع حظ النبى وحده ، دون سائر أمته .. لم يبلغها أحد سواه .. لا !! ولا أبوبكر !! وذلك ان النبى قد كان بينهم غريبا .. ولم يكن منهم .. ولم

يأتهم من الماضى ، ولا من الحاضر الذى يعيشـــونه ، وانما أتاهم مـــن المستقبل •• جاءهم ليسوقهم سوقا رفيقا ليكونوا مرحلة انتقال تنجب أمة المستقبل •• وهذا هو معنى قوله تعالى : « يسبح لله مافى السموات ،ومافى الأرض ، الملك القدوس العزيز الحكيم ❋ هو الذى بعث فى الاميين رســـولا منهم يتلو عليهم آياته ، ويزكيهم ، ويعلمهم الكتاب ، والحكمة ، وان كانوا من قبل لفى ضلال مبين ❋ وآخرين منهم لما يلحقوا بهم •• وهو العـــزيز الحكيم ❋ ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء •• والله ذو الفضل العظيم » •• «الأميين» هم أمة البعث الأول •• « رسولا منهم » اشارة الى بشريتهم ، فهو بشر مثلهم •• « وآخرين منهم لما يلحقوا بهم » اشارة الى أمة البعث الثانى الذين سماهم النبى بالأخـــوان ، حين ســـمى أمـــة البعث الاول بالاصحاب ، وذلك فى حديث الاخوان المشهور ،وقد أوردناه كثيرا فى مواضع شتى ، وانما يهمنا منه هنا قوله : « واشوقاه لاخوانى الذين لما يأتوا بعد!!» أخذا من قوله تعالى « وآخرين منهم لما يلحقـــوا بهم » •• و « لما » تنفى الماضى الى اللحظة الحاضرة ، وتوكد المجىء فى المستقبل •• فمن مســـتوى « الاخوان » رجع النبى ليدرج « الاصحاب » •• من مستوى «المسلمين» رجع ليدرج « المؤمنين » •• فهو وحده قد كان « المسلم » بين « أمـــة المؤمنين » •• وهو لذلك قد كان طليعة « أمة المسلمين » التى لما تأت بعد ، والتى ، نحن الجمهوريين ، انما نبشر بها اليوم ، فى جميع ما نأتى وماندع ، من أقوالنا ، وأفعالنا •• •• ووسيلتنا اليهـــا هى : « الثورة الفكرية » التى تتحقق ببعث : « لا اله الا الله » من جديد ، قوية ، خلاقة ، تغير العقـــول والقلوب •والطريق الى بعث « لا اله الا الله »من جديد هو تجويد تقليد «قدوة التقليد » حتى يفضى بنا تجويد التقليد الى الاستقلال عن التقليـــد ـــ الى الاصالة ـــ من ههنا جاءت دعوتنا الى « طريق محمد » •• وجاء اخراجنـــا فى هذا الطريق كتابنا : « طريق محمد » ••

لقد قلنا عن « الثورة الفكرية » مايكفى ، فى هذا المقام الضـــيق •• والحديث عن « الثورة الفكرية » فنونه كثيرة •• ولكن لابد لنا أن نكفكفـــه

هنا •• ولا بد لنا من كلمة أخيرة •• هذه الكلمـة الاخـيرة هى : ان « الفكر الثائر » هو « اكسير الحياة » ، الذى طالما هام به « الفلاسفة » و « العلماء » و « الفنانون » •• الفكر « الثائر » هو الفكر « السائر » الى أصل الحيـاة الذى منه صدرت الى الله فى اطلاقه ـ سيرا حثيثا ، منطلقـا ، لا يلوى على شىء •• سيرا به تتجدد حياة الحى ، فى كل جزئية ، من جزئيات الثانيـة الواحدة •• قال تعالى عن هذا السير : « ومن كل شىء خلقنا زوجين ••• لعلكم تذكرون*ففروا الى الله !! انى لكم منه نذير مبين*ولا تجعلوا مع الله الها آخـر !! انى لكم منـه نذير مبـين !! » •• قـولـه تعالى : « ومن كل شىء خلقنا زوجين » اشارة الى الضدين •• اشـارة الى الطرفين •• اشارة الى النقيضين •• قوله « لعلكم تذكرون » هذه هى العلة وراء خلق الأزواج • لأن الفكر لم يكن ليستطيع أن يميز ، وأن يدرك لولا وجود الضـدين ••• وبـين الضـدين تكـون ذبذبـة الفـكر ، مـن النقيض الى النقيض •• ولا يكـون الفكـر مسـددا ، ولا مستقيما الا اذا أصاب نقطة التقاء الضدين •• وهذا هو التوحيـد •• توحيد النقيضين •• وقد أشار الى هذا التوحيد فى الآية الثالثة حيث قال : « ولا تجعلوا مع الله الها آخر !! انى لكم منه نذير مبين !! » ولكنه ، تبارك وتعالى ، قد أودع سر السير ، وسر الثورة ، فى الأمر الذى جـاء فى الآية الوسطى : « ففروا الى الله !! انى لكم منه نذير مبين !! » يعنى « فروا » ، من كل ماله ضد ، الى من ليس له ضد •• « فروا » من الاكوان الى المكون • هذه هى « الثورة الفكرية » التى عنيناها فى مقدمة كتابنا : « لا اله الا الله » الذى صدر فى الخامس والعشرين من مايو عام ١٩٦٩ م ، وذلك حيث قلنا : « والمرحلة الثانية من ثورة أكتوبر هى مرحلة الفكر المستحصد ، العاصف ، الذى يتسامى بارادة التغيير الى المستوى الذى يملك معه المعرفة بطريقـة التغيير •• وهذه تعنى هدم الفساد القائم ، ثم بناء الصلاح مكان الفساد ، وهى ما نسميه « بالثورة الفكرية » • •فان ثورة اكتوبر لم تمت ، ولا تزال نارها تتضرم ، ولكن غطى عليها ركام من الرماد •• فنحن نريد أن تتـولى

رياح الفكر العاصف بعثرة هذا الرماد ، حتى يتسعر ضرام أكتوبر من جديد، فتحرق نارها الفساد ، ويهدى نورها خطوات الصلاح •• وليس عندنا من سبيل الى هذه « الثورة الفكرية» العاصفة غير بعث الكلمة : «لا اله الا الله» جديدة ، دافئة ، خلاقة فى صدور النساء ، والرجال ، كما كانت أول العهد بها ، فى القرن السابع الميلادى •• »

الثورة الثقافية

« الثورة الثقافية » هى النتيجة المباشرة « للثورة الفكرية » الثورة الثقافية هى نقطة التقاء الفكر بالواقع •• والمقصود هنا بالطبع هو الفكر « الثائر » •• فاذا التقى الفكر الثائر بالواقع فان التغيير هو دائما النتيجة •• ولا يمكن الا أن يكون التغيير سريعا ، ومع ذلك ، فانه يجب أن يكون تغييرا بغير عنف •• « فالثورة الثقافية » ، على هذا ، هى التغيير السريع للأحسن ، من غير عنف •• هى تملك « سرعة » الثورة ، وتبرأ من «عنف» الثورة •• فالثورة الثقافية ، بايجاز ، هى علم ، وعمل بمقتضى العلم •• وهذا مابه يحصل التغيير ••

ولما كان الفكر الثائر هو الذى يحدث الثورة الثقافية ـ يحدث تغيير الواقع بصورة سلمية ، وثورية فى آن معا ـ ولما كان الفكر الثورى فكرا دقيقا ، وأصيلا ، ونفاذا ، وسلميا ، فان تغييره للواقع لابد أن يبدأ من داخل النفس البشرية •• ذلك بأن أى تغيير يقتصر على الخارج ـ على البيئة البشرية ، والبيئة الطبيعية ـ أعنى : المجتمع ، والطبيعة ، لا يكون تغييرا سليما ، ولا مستقيما ، ذلك بأن التغيير الخارجى ، انما هو صورة للداخل ، أعنى للنفس البشرية ، فاذا كانت النفس خربة بالأحقاد ، والضغائن ، والعداوات الرعناء ، فى كلمة واحدة ، بالجهل ، فان هذا الخراب يطبع بطابعه التغيير الذى يجرى فى المجتمع وفى البيئة ••

لقد كان العرب يعرفون الرجل المثقف بأنه هو الذى يملك محصولا كبيرا من معرفة تاريخ العرب ، وأنسابهم ، وعاداتهم ، وأشعارهم •• ثم

جاء وقت قريب أعتبر فيه المثقف هو الذى يستطيع أن يفهم حين يقرأ الكتاب العلمى ، أو المجلة العلمية ، والكتاب الفنى أو المجلة الفنية •• ومهما يكن من الأمر فاننا نعيش الآن فى عهد ازدهار العلوم ، والفنون ، والفلسفات البشرية •• وتخرج المطبعة لنا عشرات الآلاف من الكتب الجديدة ؛ فى صنوف المعارف ، كل يوم •• ويعتبر الرجل المثقف عندنا هو الذى يتابع حركة التأليف ، والنشر ، فى الكتب والمجلات ، التى تساير آخر تطور العلوم ، والفنون ، ثم يكون له فى كل مسألة ، من هذه المسائل ، رأى عتيد •• وآفة الثقافة ، بهذا المدلول ، انما هى أن المثقف قد يحمل شذرات كثيرة من المعارف من غير أن تتأثر بها أخلاقه ، تأثيرا كبيرا ، ومن غير أن يتحرر بها فكره ، تحريرا كبيرا •• ثم ان الثقافة ، حتى بهذا المدلول الموسوم بالسطحية ، أصبحت تتعرض اليوم لآفة التخصص ، الذى هو سمة العصر الحاضر •• ذلك بأن كثرة العلوم ، وتشعبها فى كل فن من فنونها ، قد أصبحت تستحوذ على نشاط العلماء كله •• فأنت ، من أجل التجويد فى الانتاج ، لابد لك من أن توقف نشاطك العلمى كله على فرع معين من فروع العلوم ، تتخصص فيه ، ولا تتعداه لغيره •• وأخذت آفات التخصص تظهر ، وتلك هى النظرة الجانبية ، التى تتوفر على شىء واحد ، يستغرقها ، وتحاول استغراقه ، حتى يصبح الانسان وكأنه آلة مصممة على انتاج صنف واحد فى صناعة واحدة ••

جاء فى « المنجد » فى اللغة قوله · « ثقف الرمح : قومه ، وسواه ••• وثقف الولد فتثقف : هذبه ، وعلمه ، فتهذب وعلم •• فهو مثقف ، وهى مثقفة •• وهذا مستعار من ثقف الرمح •• والثقاف آلة تثقف بها الرماح» قال شاعرهم : —

انا اذا عض الثقا ❋ ف برأس صعدتنا لوينا
نحمى حقيقتنا وبعض ❋ الناس يسقط بين بينا

والصعدة هى قناة الرمح •• فاذا قطعت من شجرتها وبها اعوجاج ثقفت بالثقاف ، لتكون مستوية ، ومستقيمة •• فأذا استوت ، واستقامت

فهى قناة مثقفة ٠٠ وأراد الشاعر بقوله :

« أنا اذا عض الثقـا

ف برأس صعدتنا لوينا

انه هو وقومه شديدو المراس ، لا يلينون لتقويم المقـومين ، لأن فى خلقهم ، وعورة ، واباء ٠٠ وأبان هذا المراد حين قال :

نحمى حقيقتنا وبعض ❁ النـاس يسـقط بين بينـا

فكلمة « الثقافة » فى اللغة العربية كلمة طيبة جدا ، ذلك بأنها تشير الى التقويم ، والتهذيب ٠٠ وهذا أمر يشير الى الاخلاق ٠٠ فلكأن « الثقافة » فى اللغة العـربية هى « الثقافة » فى الدين الاسـلامى ، « التقـويم » و « التهذيب » ، فانه ، فى الاسلام ، قد قال المعصـوم : « الدين المعاملة » وقال: «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق» ٠٠ و «مكارم الاخلاق» هى : حسن التصرف فى الحرية الفردية المطلقة ٠٠ والحرية الفردية المطلقة هـى حظ الرجل ، ذى الفكر الثائر ٠٠ الرجل الذى يفكر كما يريد ، ويقول كمـا يفكر ، ويعمل كما يقول ٠٠ ثم لا تكون نتيجة عمله الا خيرا ، وبرا ، بالأحياء والأشـياء ٠٠٠ والحرية الفـردية المطلقـة تبـدأ بالقيـد ، وهى ، فى مسـتوى القيـد ، حظ الرجل الحـر ، وهو الذى يفكـر كما يريد ، ويقـول كما يفكر ، ويعمـل كما يقـول ٠٠ ثم يتحمـل مسئولية قوله وعمله ، وفق قانون دستورى ٠٠ وقد أسلفنا تعريف القانون الدستورى ٠٠ وحسن التصرف فى الحرية ، اذا كانت فى قاعدتها ــ الحرية المقيدة بالقانون ــ أو فى قمتها ــ الحرية المقيدة بالأخلاق ــ لا يتأتى الا اذا تهذب الداخل ، واستقام ، فسلم القلب من مذام الأخلاق ، وصـفا العقل من أوضار الأباطيل ، والخرافات ٠٠ هذه هى الثقافة ٠٠ سـلامة القلب ، وصفاء الفكر ٠٠ وانما يتم ذلك بتثقيف الباطن ٠٠ ومن الممتع حقا أن نلاحظ أن القامة البشرية تشبه صعدة الرمح ــ قنـاة الرمح ــ هى تشبهها فى ظاهرها ، وفى باطنها ــ فى ظاهرها « الجسـم » وفى باطنها « النفس » ولذلك فان العرب تقول : فلان صلب القناة ، يريدون أنه صعب

المراس ، قوى الشكيمة ، شديد الأسر ..

الرجال عندنا ثلاثة : الرجل الذى لا يقول ، ولا يعمل ، لأنه يخاف من مسئولية قوله ، وعمله ، وهذا هو العبد .. والرجل الذى يحب أن يقـول ، وأن يعمل ، ولكنه يحاول أن يهرب تحت الظلام ، فلا يواجه مسئولية قوله ، ولا عمله .. وهذا هو الفوضوى .. والرجـل الذى يحب أن يفكر ، وأن يقول ، وأن يعمل ، وهو مستعد دائما لتحمل مسئولية قواه ، وعمله .. وهذا هو الرجل الحر .. والرجل الحر هو الثمرة الطيبة للثورة الفكرية ، وللثورة الثقافية .. وهو الابن الشرعى للمجتمع الكامل .. ومع ذلك فان المجتمـع انما هو من صنع الرجال .. المجتمع أكبر اختراع اخترعه الانسـان ... بيد ان مخترعه مجهول ، ووقت اختراعه أيضا مجهول .. وذلك لأنه انمـا نشأ بغير عمل ارادى موجه لانشائه .. ونشأ فى الماضى السحيق الممعن فى السحق .. هو فى نشأته أقرب الى العمل التلقائى العفوى ، منه الى العمـل المرسوم الموجه .. ولكن الذكاء البشرى قد أخذ يتدخل فى توجيهه منذ زمن قريب .. فقد جاء كبار الرجال ، وطلائع أحـرار البشرية ، دائما بأفكار التغيير .. فأثروا فى تفكير ، وأخلاق ، أفراد المجتمعات .. واحدثوا ، من ثم — من تغيير الأفراد — تغييرا كبيرا ، واسعا ، وشاملا فى المجتمعات ... وما نعرف ، فى التاريخ المعاصر ، ولا فى التاريخ القديم ، تغييرا هو فى سرعة ، وعمق ، وشمول ، التغيير الذى جرى للمجتمـع الجاهلى ، فى الجـزيرة العربية ، فى القرن السابع ، على يدى رسول الاسلام العظيم .. ولقـد تحدثنا عن هذا التغيير حديثا يسيرا فيما أسميناه بثورة الاسلام الأولى ، فى هذا الكتاب .. ولكن يهمنا هنا أن نقرر ان تغيير الاسلام للمجتمعات انما يبدأ بالأفراد .. وهو دائما يسير بتوكيـد على تغيير الافراد ، وتغيـير الجماعات . ولقد يتضح لنا هذا الصنيع جليا اذا علمنا ان شريعته على مستويين مستوى الفرد ، ومستوى الجماعة .. فأما شريعته فى مستوى الفرد فقـد عرفت بشريعة العبادات .. وأما شريعته فى مستوى الجماعة فقد عـرفت بشريعة العادات — شريعة المعاملات .. ثم ان النبى الكريم قد قال : «الدين

المعاملة » •• وقال : « انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق » •• وهـو قد علم ان الدين يعاش بوجهين •• وجه يلى الرب ، قانونه العبادة •• ووجـه يلى الخلق ، قانونه المعاملة •• وقول المعصوم « الدين المعاملة » شمل هـذين الوجهين فى سياق واحد •• هو معاملة للرب بصـدق العبادة ، وخلوص الضمير ، وحسن التوجه ، وبالتخضع والتذلل ، الذى يوجبه مقام العبد من الرب •• وهو معاملة للخلق ــ جميع الخلق ــ بالصدق ، والنصيحة ، وحب الخير ، وصلاح ذات البين ، فى السر ، والعلن •

ومطلب التوحيد من العباد توحيد هذين الوجهين •• فكأن العبد ، فى خلوته مع ربه ، انما يتلقى منه صفاء الفكر ، ودقة النظر ، اللذين يستعين بهما على القدرة على حسن معاملة الناس ــ هو ، لدى خلوته بربه ، بمثابة من يتلقى العلم النظرى ، ثم هو لدى اضطرابه فى المجتمع ، فانما يجـد الفرصة لتطبيق هذا العلم النظرى ، معاملة ، وحسن خلق مـع الناس ••

فليس عابدا مجودا من ينفرد بربه فى « خلوته » ثم لاتكون له « جلوة » مع الناس •• أو هو ، عندما تكون له الجلوة مع الناس ، لايلقـون منه الا صنوف الكيد ، من سوء الفعل ، وسوء القول •• وليس أيضا بعابد مـن ينصرف عن لقاء ربه فى الخلوة اكتفاء بما يظنه حسن خلق مع النـاس فى الجلوة •• وان كان هذا قد يكون خيرا من ذاك ، خيرا من الذى يعبد ويؤذى الناس ، وهو راض عن صنيعه ، لأنه راض عن عبـادته •• والخلوة التى نريدها ليست فى المغارات ولا فى الكهوف ، ولا فى الحجرات المغلقة ، ولاهى فى الفلوات •• وانما هى فى خلوة الثلث الأخـير من الليل : « قم الليـل الا قليلا ❋ نصفه ، أو أنقص منه قليلا ❋ أو زد عليه •• ورتل القـرآن ترتيلا ❋ انا سنلقى عليك قولا ثقيلا ❋ ان ناشئة الليل هى أشـد وطأ ، وأقوم قيلا ❋ ان لك فى النهار سبحا طويلا » •• هـذه هى « الخـلوة » و « الجلوة » •• الخلوة : « ان ناشئة الليل هى أشد وطأ وأقوم قيلا » •• والجلوة هى : « ان لك فى النهار سبحا طـويلا » •• ففى الخلوة معـاملة

الرب •• وفى الجلوة معاملة الخلق •• ولم يقل المعصوم الا : « الدين المعاملة » ليؤكد ضرورة حسن خدمة الناس ، وحسن القول للناس ، وحسن الظن بالناس •• وكل هؤلاء لا تتفق للانسان الا باتقان العبادة •• يلاحظ أنه لم يقل « الدين العبادة » •• لأنه قد تكون هناك عبادة بغير حسن معاملة للناس ، وانما هو قد قال: «الدين المعاملة» •• والعبادة هنا حاضرة، لأنه لا يمكن أن تكون هناك معاملة للناس فى مستوى حسن العمل فيهم ، وحسن القول لهم ، وحسن الظن بهم ، الا اذا كانت هناك عبادة ، وعبادة صحيحة •• فالوحدة ، اذن ، قائمة ، ولا تنفصم ، بين العبادة والمعاملة •• فمن لا يعبد ، العبادة الصحيحة ، لا يمكن أن يحسن معاملة الناس ••ومن يعبد ، وهو لا يحسن معاملة الناس، فليس بعابد ، وان أسهر ليله وأظمأ نهاره •• فما ينبغى أن ينخدع الناس بالمظاهر الكاذبة •• فان : « الدين المعاملة » ••

والوحدة القائمة بين العبادة والمعاملة انما تجد سندها فى النص القرآنى الكريم :

« اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه » •• و «الكلم الطيب » انما هو التوحيد ••وهو أيضا ثمرة التوحيد ــ الفكر الصافى •• « والعمل الصالح » كثير ، يخطؤه العد •• وأعلاه الصلاة •• ثم هو كل معاملة ، حسنة ، توجهها المحبة للأحياء ، والأشياء ، وتضبطها الحكمة •• وانما كانت الصلاة عملا صالحا فى القمة لانها معاملة ، وسياسة ، لنفس المصلى• ثم هى مؤدية الى حسن المعاملة ، والسياسة للأحياء ، والاشياء •• وذلك لأن بالصلاة يتم السلام مع النفس •• والنفس التى حققت السلام فى داخلها لا يمكن الا أن يلقى الناس منها السلام ، والخير ، والبر والحب •• وفى الحق ، أن كل عمل يعمله الانسان ، فى العبادة ، أو فى معاملة الأحياء • والاشياء ، يترك أثره فى نفس عامله ، أول الأمر ، ثم هو يترك أثره فى الوجود الخارجى ، آخر الامر •• والقاعدة فى ذلك قوله تعالى: «فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ❁ ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره»

وانما من هنا أصبح ديننا المعاملة •• أصبح ديننا الحياة كلها •• ولقد تعرضنا لشرح هذا فى كتابنا « تعلموا كيف تصلون » ، وذلك لدى حديثنا عن حضرتى الصلاة : حضرة الأحرام وحضرة السلام •• ولقد ذكرنا أن أدب حضرتى الصلاة انما هو فى الحضور مع الله •• ولقد تهمنا هنا حضرة السلام •• فالقاعدة ، فى حضرة السلام ، التى بها يستجلب الحضور مع الله ، انما هى عمل الواجب المباشر جهد الاتقان، ثم محاولة الرضا بالنتيجة •• فى حديث المعصوم وارد : « ان الله كتب الاحسان على كل شىء ، فمن ذبح منكم فليشحذ شفرته ، وليجهز على ذبيحته » •• وفى القرآن الكريم يجىء قوله ، جل من قائل : « ليس على الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، جناح فيما طعموا ، اذا ما أتقوا وآمنوا ، وعملوا الصالحات • ثم اتقوا وآمنوا • ثم اتقوا وأحسنوا والله يحب المحسنين •• » •• قوله تعالى : « ليس على الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات ، جناح فيما طعموا •• » أراد بهم عامة المؤمنين •• قوله : « وعملوا الصالحات » •• عمل الصالحات عند هؤلاء هو القول باللسان ، والعمل بالجوارح ، فى العبادات المفروضة •• واجتناب الحرام ، وأخذ الحلال ، ومن غير اسراف فيه أيضا •• وهذه هى الشريعة •• والشريعة هى أول منازل السالكين الى الله • وفى هذا المستوى جاءت المنزلة الأولى من تدرج الآية فى منازل السير نحو القرب من الله ، وذلك حين قال : « اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات » •• ثم هو قد قال ، تبارك من قائل : « ثم اتقوا ، وآمنوا » •• وهذه منزلة فى أول منازل الطريقة •• والطريقة شريعة موكدة •• هى شريعة وزيادة •• ذلك لأنها انما دخلت فى مناطق الورع •• والورع عيشه الكفاف •• وهو لا يجتنب الحرام البين فحسب ، ولكنه قد يتورع حتى عن أخذ الحلال البين • •وهو لا يصلى المكتوبة فحسب ، ولكنه يأخذ نفسه بعزائم النوافل ليرقع بها مكتوبته ، خوفا عليها الا تكون فى مستوى القبول •• ولم يرد فى الآية ، فى هذا المقطع ذكر : « وعملوا الصالحات » ولكنه موجود •• وحين يكون عمل الصالحات فى مرتبة صاحب الشريعة ، هو العدل بين الناس ، وعدم التعدى عليهم ،

فأنه ، فى مرتبة صاحب الطريقة ، يتسامى الى التسامح والعفو ٠٠ ثم سار التلقى بالسالك حتى أدت به طريقته الى أول المنازل من حقيقته ، فجـــاء ذكره فى هذا المقطع من الآية بقوله ، جل من قائل : « ثم اتقوا ، وأحسنوا » والاحسان زيادة فى الايمان ، ينزل بها صاحبها أول منازل اليقين ٠٠ ولم يرد ذكر عمـــل الصالحات هنـــا أيضـــا ولكنـــه موجـــود ٠٠ فليس فى الدين علم الا وهو يوجب العمل ٠٠ ذلك لان القاعدة التى جاء النص عليها بقوله ، تبارك وتعالى : « اليه يصعد الكلم الطيب ، والعمل الصالح يرفعه » انما تطرد ، دائما ، ولا تتخلف ٠٠ فحين يذكر العمل ، فى مثل قولـــه : « اذا ما اتقوا ، وآمنوا ، وعملوا الصالحات » فانما ذلك ذكر بين ٠٠ ولكنه ، حين لا يرد هذا الذكر البين للعمل الصالح ، كما هو الحال فى مثل قوله ، مثلا : «ثم اتقوا وآمنوا » أو فى مثل قوله تعالى : « ثم اتقوا واحسنوا » ، أو فى مثل قوله تعالى : « والله يحب المحسنين » فان « عمل الصالحات » ، دائما مقصود ٠٠ والغرض من ترك ذكره ههنا انما هو الاشارة الى انطوائـــه فى « الايمان » والى انطوائه فى «الاحسان» ٠٠ وانما تلك منازل ، من منازل القرب من الله ، ، تحققها وتحددها درجة التوحيد عند الموحدين ٠٠ ومنازل القـــرب مـــن الله لا حصر لهـــا ، ولكـــن يمكـــن الاشـــارة الى المنـــازل السبعـــة ، وهـــى المعروفـــة بالصفـــات النفسـيـة السبع ٠٠ وهى ، فى طريق التنزل عن الذات ، أولها الحياة ، ثم العلم ، ثم الارادة ، ثـــم القدرة ، ثم السمع ، ثم البصر ، ثم الكلام ٠٠ وهى فى طريق المعراج الـــى الذات تصعد بالعبد من الكلام نحو الذات ، وأعلى منازلها الحياة ، وتـــرك ذكر عمل الصالحات فى مقاطع الآية المختلفة التى سلفت الاشارة اليها انما أريد به الاشارة الى قرب المسافة بين الفكر ، والقول ، والعمل ، والحياة ، كلما أرتقى السالك فى مراقى القرب ٠٠ فان كل الصفات قائمـــة بالذات ، ومنضوية فيها ٠٠ والذات ، فيما يخص العبد ، تنوب عنها ، من الصـــفات النفسية السبع ، التى ذكرناها ، صفة الحياة ٠٠ والمقصود هنا بالحيـــاة انما هو حظ العبد الكامل منها ٠٠ وفى الحياة تنضوى كل الصفات ٠٠ وانما

من ههنا جاء ، فى مقطع الآية ، بقوله ، تبارك من قائل : « والله يحب المحسنين » •• «المحسنين» هؤلاء انما هم الذين أحسنوا عبوديتهم لربهم ، فعاشوا معه فى حضرة عمرت كل جزئيات اوقاتهم ، فأحبهم ليحبود « يحبهم ويحبونه» •• فسلمت حياتهم من الآفات ، وأطمأنت من الخوف، وبرئت من شوائب النقص ، فهى تعلم ما تشاء ان تعلم ، وتريد ما تريد أن تريد ، وتقدر على كل ما تريد ••

يوصل الى هذا المقام الاحسان اليسير فى بدء حياة السالك ، ذلك الاحسان الذى أشار اليه المعصوم بقوله : ان الله كتب الاحسان على كل شىء •• فمن ذبح منكم فليشحذ شفرته ، وليجهز على ذبيحته » •• وهذا الاحسان هو ما أسميناه فى مواضع شتى : « أداء الواجب المباشر جهد الاتقان » فأول ما تجب ملاحظته هو أن عليك واجبات ولك حقوقا •• عليك واجبات نحو ربك ، ونحو نفسك ،ونحو مجتمعك •• ولك حقوق قبل كل هؤلاء •• والقاعدة السليمة ، فى التعامل السليم ، هى أن تفكر فى أداء الواجبات التى عليك ، قبل أن تفكر فى تقاضى الحقوق التى لك •• والواجبات كثيرة ، لا تحصى •• فالواجبات نحو الرب كثيرة ، وبعضها أهم من بعض •• والواجبات نحو النفس كثيرة ، وبعضها أهم من بعض •• والواجبات نحو المجتمع كثيرة ، وبعضها أهم من بعض •• وسيكون عليك ان تقدم أداء الواجب الاهم على أداء الواجب المهم ، سواء أوقعت المقارنة بين هذه الواجبات فى داخل مراتبها التى ذكرناها ــ الواجب نحو الرب ، والواجب نحو النفس ، والواجب نحو الناس ــ كل مرتبة على حدة ، أو وقعت هذه المقارنة بينها فى مراتبها الثلاث مشاعة فى بعضها ، ومتداخلة •• وتقديم أداء الواجب الأهم ، على أداء الواجب المهم ، هو ما أسميناه بأداء الواجب المباشر •• ثم ان عليك ، بعد أن تعين أى واجباتك هو الواجب المباشر ، ان تؤديه باتقان ، وبتجويد ، وباحسان ، وانت على علم بان « الله قد كتب الاحسان على كل شىء » •• ثم يبقى عليك بعد ذلك واجب مهم وهو ان تترقب النتيجة وراء اداء واجبك

هذا المباشر •• فان جاءت النتيجة وفق مرضاة نفسك فان واجبك ان تشكر الله ، وأن ترى المنة منه ، والا يستخفك البطر •• وان جاءت بخلاف ما يرضيك فان عليك ان تتقبل عناية الله ، وان تثق فى حكمة تدبيره اياك ، وان تحمده •• ويجب عليك ان تحفظ قلبك فلاتذهب نفسك حسرات على مافاتك من الخير ، فيما تزعم لك نفسك ، بتسويل الجهل لها ، ان الخير قد فاتها ••

وتقديم الواجب المباشر ، بعد تمييزه ، يحتاج الى قوة فكر لا تتوفر الا بالعبادة المجودة •• واتقان اداء الواجب المباشر يحتاج الى علم لا يتوفر الا بالتعلم •• ونحن نعيش فى عصر العلم اليوم •• ولكل عمل يؤديه الانسان طريقة علمية ، يمكن أن يؤدى بها ، فتتساق به الى اتقان الأداء ، والى اقتصاد الجهد المبذول فيه ، والى توفير النفقة عليه •• كل عمل نعمله ، فى عصرنا هذا ، يجب ان يقوم على علم ، وعلى تخطيط وفق العلم ، وعلى تنفيذ وفق التخطيط • هذه هى الخطة العلمية التى باتباعها ، فى أثناء أداء عملنا اليومى ، نكون سايرين فى طريق التوحيد الذى هو غرض عبادتنا ، وغرض حياتنا •• فانك حين تؤدى واجبك فى عملك اليومى وفق علم به ، وتخطيط له وفق هذا العلم ، ثم يجىء تنفيذك اياه وفق هذا التخطيط ، تكون متخلقا باخلاق الله • فانه ، سبحانه وتعالى ، يخلق « بعلم وارادة ، وقدرة » فهو بالعلم قد احاط بمخلوقاته ، وبالارادة قد خصص صورة البروز ، وبالقدرة قد ابرزها الى حيز الوجود •• وقيامك انت على اداء واجبك بهذه المراتب الثلاث : علم وتخطيط ، وتنفيذ ، يحرز لك وحدة عقلك ، ويدك ، وعينك •• وهذه تسوق مباشرة الى توحيد القوى المودعة فيك ، والتى بها تكتمل حياتك ، والتى هى غرض العبادة ، الأول والأخير وقد أشرنا اليها فى مواضع كثيرة •• تلك القوى هى العقل ، والقلب ، والجسد ••

ويجب ان يكون واضحا فان عملك فى اداء واجبك بهذه الصورة يجب ان تكون النية فيه خالصة لله •• خالصة من كل شائبة •• « الا لله الدين الخالص » ••

ونحن ، من أجل الاهتداء الى تمييز الواجب المباشر ، نقدم : « الثورة

الفكرية » •• ومن أجل الاهتداء الى اتقان اداء الواجب المباشر نقـــدم : « الثورة الفكرية » و «الثورة الثقافية » •• وستتخذ « الثورة الثقافية » صورة سلسلة من الكتيبات باسم « تعلموا كيف » •• تبدأ بكتيب « تعلموا كيف تصلون » الذى سيكون بين ايدى القراء قريبا ، ان شاء الله ، ثم تسير الى غير نهاية ، تقدم كل موضوع من الموضوعات التى يأتيهـــا الآتى ، فى « خلوته » مـــع ربه ، أو فى « خلوته » مـــع أهله ــ مع زوجتـــه ــ أو فى « جلوته » مع الآخرين ، بطريقة علمية تتطلب ثلاث المراتب معا ، وفى آن واحد : العلم الدقيق بالامر المراد اداؤه ، ثم التخطيط ، وفق هذا العلم ، ثم التنفيذ ، وفق هذا التخطيط .

« الثورة الفكرية » ، و « الثورة الثقافية » هى الثورة التى تبدأ ، ولكنها لا تنتهى ، على الاطلاق •• هى تبدأ فى هذه الحياة ، وتبدأ عندنا منذ اليوم ، ان شاء الله ، ولكنها لا تنتهى •• هى لاتنتهى لا فى البرزخ ، ولا فى الآخـــرة ولا فى السرمد . ذلك لان بها السير الى الله •• والسير الى الله انما هـــو ســـرمدى •• فاهل الدنيـــا ، فى الدنيـــا ، ســـائرون اليـــه •• وأهل البرزخ ، فى البرزخ ، ســـائرون اليه ••• وأهل الجنة ، فى الجنـــة سائرون اليه ••وأهل النار ، فى النار ، سائرون اليه ، فانه ما من الله بد •• « يأيها الانسان انك كادح الى ربك كدحا ، فملاقيه » ذلك وعد غير مكذوب والسير الى الله « ثورة فكرية » و « ثورة ثقافية » ، على اختلاف فى ذلـــك يقع فى المقدار ، ولا يقع فى النوع ••

الخاتمـــة

اما بعد فهذا كتيب نقدمه بين يدى « الثورة الفكرية » و « الثـورة الثقافية » وهو فى ذلك دعوة اليهما على بصيرة الدين ، وهدى العلم ـ العلم بالله ، والعلم بالاخـرى ، والعـلم بالدنيـــا ٠٠ ويجب أن يكـون واضحا فاننا ، نحن السودانيين ، لا تنقصنا المهارة الفنية ، ولا الخبرة العلمية بقدر ما تنقصنا « الاخلاق » ٠٠ ان « ازمة » امتنا الحاضرة هى (ازمـة اخلاق) ٠٠ وتلك هى ازمة البشرية جمعاء ، على عصرنا الحاضر ٠٠ ومـن أجل ذلك فان الحاجة الاولى انما هى للثورة ، تبدأ من الداخل ٠٠

ان التغيير يجب ان يبدأ من النفس البشرية ، يبدأ من داخل كـل نفس ، وهذا هو ماتوخيناه هنا ٠ وهذا هو مامن أجله بدأنا سلسلتنا العلمية بكتيب: « تعلموا كيف تصلون» ٠٠يجب أن نبدأ بتغيير أنفسنا ، فى دخيلتها ، فان نحن غيرناها الى ماهو احسن امكن ان نغير ، الى الاحسن ، غيرنا ٠٠ والا فلا ٠٠ فأن « فاقد الشئ لا يعطيه » ٠٠

ونحن قد افتتحنا كتيبنا هذا بآيات من الكتاب الكريم ، جاء فيهـا قوله ، تبارك من قائل : « له معقبات ، من بين يديه ، ومن خلفه ، يحفظونه من امر الله ٠ ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم ٠٠ واذا اراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ٠٠ وما لهم من دونه من وال » ٠٠ اقرأ ،وتأمل « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » ٠٠

ان الله هو المسئول ان يتقبل عملنا ، وان يهدينا ، وان يهدى بنا ، وان يجعل حياتنا وقفا على تعريف خلقه به ، وعلى تحبيبه الى خلقه ٠٠ جميـع خلقه ٠٠

ثم انه هو المسئول ان ينزل هذا الشعب الطيب ادنى منازل القـرب منه ، وان يجعله طليعة تهدى الى منازل التشريف والكرامة بقية الشعوب ٠

هذا الكتاب

هذا كتاب عن الثورة الثقافية نخرجه للناس ونستهدف به إحداث التغيير الجذري في حياة الأفراد والجماعات :

هذا الكتاب

فهذا كتيب نقدمه بين يدي "الثورة الفكرية" و"الثورة الثقافية" وهو في ذلك دعوة إليهما على بصيرة الدين، وهدى العلم - العلم بالله، والعلم بالأخرى، والعلم بالدنيا .. ويجب أن يكون واضحاً فإننا نحن السودانيين لا تنقصنا المهارة الفنية، ولا الخبرة العلمية بقدر ما تنقصنا الأخلاق

هذا الكتاب

إن التغيير يجب أن يبدأ من النفس البشرية، يبدأ من داخل كل نفس وهذا هو ما توخيناه هنا. وهذا هو ما من أجله بدأنا سلسلتنا العلمية بكتيب «تعلموا كيف تصلون».
يجب أن نبدأ بتغيير أنفسنا في دخيلتها .. فإن نحن غيرناها إلى ما هو أحسن أمكن أن نغير إلى الأحسن غيرنا .. وإلا فلا .. فإن فاقد الشيء لا يعطيه ..

الثمن ٣٥ قرشاً